# السادات

## ومبادرة السلام

تحليل نفسي إجتماعي



تأليف : سمير عبد العزيز فرج




# السادات ومبادرة السلام

## (تحليل نفسي إجتماعي)

تأليف

سمير عبد العزيز فرج

(رئيس قسم علم النفس)

٢٥ ديسمبر ١٩٧٧

# إهـــداء

الى السيد الرئيس محمد أنور السادات

بطل السـلام

الى سيدة مصر الأولى جيهان السادات

رمز السـلام

الى مهد الحضارة مصر

أرض السـلام

الى أسرة المخابرات العامة

درع السـلام

حي يا شعر طلعة السادات
مجد سيناء ، مسترد القناة

يا أخا الريف يا نجي رباه
بين زاهي الجنى وغض النبات

حب مصر وقد حنوت عليها
فى شباب منضر الصفحات

حب أمن لها ورغد من العيش
ويمن فى الرزق والأقوات

حب نصر لجيشها وسلام
يغمر الشرق بالرخاء المؤاتي

عاش راعي الحمى أمينا وعاشت مصر تدعو له بطول الحياة

**( أحمد رامى )**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

## بقلم : « رئيس المخابرات العامة »

ستظل بطولات الرئيس « محمد أنور السادات » حديث المؤرخين فى الحاضر والمستقبل ٠ وسوف تدفع الباحثين ـ الى مدى بعيد ـ للقيام بدراسات غنية تثرى الانسانية فى نشاطها المتعدد ٠ فهذا الزعيم العظيم قد حباه الله بعبقرية متعددة الأبعاد ، طبعت وما تزال ، بصمات ناصعة على صفحات تاريخ مصر « مصر السادات » ٠

ان ثورة ١٥ مايو ، واطلاق الحريات ، والانفتاح الاقتصادى ، وطرد الخبراء السوفييت ، وانتصار أكتوبر المجيد ، هى أمثلة على قدرة هذا القائد الشجاع على زحزحة التاريخ عن ذلك الذى يعتبره من دونه من الرجال طريقا حتميا مرسوما ٠

وسوف يثير هذا الكتاب اهتمـام القارىء وحماسه ، فهو باكورة الدراسـات العلمية المنظمـة للوثبة التاريخية التى نعيش ـ بين القاهرة والقدس . كما يواكب ايقاعها السريع . ويتناول مبادرة السـلام من خـلال رؤية نفسية اجتماعية ، فينسجم بذلك مع جوهر المبادرة وهدفها كما حددهما الرئيس السادات . ويساعد من خلال لمحات جديدة على مزيد من فهم الماضى والحاضر ، ويزيد الأمل فى مستقبل مشرق للمنطقة كلها ولسـلام العـالم .

كمال الدين حسن على

# مقدمة

بين القاهرة والقدس ٠٠ كانت خطوة عملاق ٠٠ وثبة بطل ٠٠ رؤية عبقرى ٠٠ بصيرة مؤمن ٠٠ كانت مبادرة السلام للرئيس « محمد أنور السادات » ٠

وفى يوم القيامة ٠٠ ستبعث الانسانية ساجدة الى الله جل جلاله «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن» تحمل فيما تحمل من حسنات ٠٠ مبادرة السلام للرئيس السادات ٠٠ علها تكون شفيعا لها عما ارتكبته من حروب وآثام ٠

**وهذه الدراسة المتواضعة ، تحاول مستحيلا ٠٠ حين ترسم بعض ملامح الزعيم العظيم ٠٠ من خلال رؤية نفسية اجتماعية لمبادرته للسلام ٠**

**الفصل الأول « علم وايمان »** يبين أن الرئيس السادات لا يجمع جمعا اضافيا بين العلم والايمان ، فيتصرف بعلمية بحتة فى مواقف ، وبايمانية خالصة فى مواقف أخرى ، ولكن العلم والايمان قد امتزجا فى قلبه وعقله ، فأضحى يقود أمته فى كل قضاياها ، بأسلوب هو فى نفس الوقت ، علمى ايمانى .

**والفصل الثـانى « عبقرية وبطولة »** يثبت ـ من خـلال المعايير العلمية ـ أن عبقرية وبطولة الرئيس السادات ليستا صفتين قررتهما الجماهير العريضة المحبة له فحسب ، ولكنهما سمتين أصيلتين فى شخصيته متعددة الأبعاد ٠

**والفصل الثالث « الولاء الحق »** يعرض البنـاء الهرمى ، الذى ينتظم عليـه ولاء الرئيس السـادات ، لمصر وللعرب وللانسان فى كل مكان . كما يتضمن مقارنة موضوعية فى بنية الولاء ، بين كل من « أنور السادات » و « جمال عبد الناصر » ومن يسمون أنفسهم « الجبهة الرافضة » لمبادرة السلام ٠

**والفصـل الرابع « الحاجز النفسى »** يبين ـ من خـلال دراسات نفسية اجتماعية قام بها باحثون مختلفون من أمريكا ومن اسرائيل ومن مصر ـ أن ذلك الحاجز النفسى ، الذى قال عنه الرئيس السادات أنه يمثل ٧٠٪ من المشكلة المطروحة ، هو فى نفس الوقت نتيجة وسبب ، للادراك الخاطئ ، المتبادل بين أطراف الصراع العربى الاسرائيلى ٠

**والفصل الخامس « الحرب والسلام »** يجمع بين نصر أكتوبر كعبور بالجسد ، وبين مبـادرة السـلام كعبور بالنفس ، فى بنيان واحد يشكل العبور العظيم لمصر ولكل دول المنطقة من حولها من أجواء الحرب والدمار الى أرجاء السلام والرخاء ٠

**والفصل السادس « الأرض على مائدة المفاوضات »** يحدد الشروط النفسية والموضوعية ، الضرورية لنجاح المفاوضات من أجل سلام عادل ، سواء تلك التى حققتها مبادرة السلام ، أو تلك المطلوب توافرها فى شخصية المفاوض . ويناقش مشكلة « الأرض » على المستوى السيكلوجي ــ من المنظور العربي ومن المنظور الاسرائيلي ــ والدوافع والمبررات النفسية التى تثيرها لدى مختلف أطراف النزاع .

**وسنختتم بالفصل السابع « معا ·· نحو مستقبل مشرق »** لنرى كيف تؤكد مبادرة السلام ·· التوافق الفكرى الخلاق والتكامل القيادى المقدام ·· بين السيد الرئيس « أنور السادات » ــ الأب الحكيم ، كبير العائلة المصرية العريقة ·· وبين سيدة مصر الأولى « جيهان السادات » ــ الوفاء والأمل ، أم المصريين جميعا ·· وكيف أنهما معا يقودان مسيرة مصر والعرب ــ فى خطى واثقة شجاعة ــ نحو مستقبل مشرق مزدهر ·· ينعم فيه الجميع بالاخاء والرخاء ·· وتتحقق فيه الأماني المرتقبة والحضارة المنشودة لمصر عام ٢٠٠٠ .

ما أجمل أن يكون عام ١٩٧٨ هو عام السلام ·· يستقر فيه الأمن والسلام لكل دول منطقتنا ، كى توجه كل طاقاتها الى رفاهية شعوبها وسعادة أفرادها ··

وفيه يهدى العـالم جائزة « نوبل » للسلام الى الرئيس محمد أنور السادات ٠٠ عرفانا وتقـديرا لدوره التاريخى من أجل سلام الانسان فى كل مكان ٠

واذا كان هـذا الكتاب قد شرف بصدوره فى عيـد ميلاد الرئيس السادات ، الذى يلتقى ــ فى نفس الوقت ــ مع عيد « الكريسماس » المسـيحى ، وعيد « الهانوكاه » اليهودى ٠ وفيه أيضا تشهد « الاسماعيلية » أول اجتماع ــ بعد مبادرة السلام ــ بين قائد مصر ورئيس وزراء اسرائيل لبحث الخطوات العملية لاقرار سلام شامل ٠٠

فكم ستكون الفرحة رائعة وشـاملة لكل شـعوب منطقتنا بهذا اليوم السعيد ٠٠ حين تستكمل خطوات السـلام العادل فى العام القادم باذن الله ٠٠ فتحتفل مصر كلها ومعها كل انسان يحب السلام ٠٠ بعيد ميلاد زعيمها ٠٠ عيد ميلاد السلام ٠٠ ما أجمله عيدا قوميا لشعب عريق ٠

**أيها البطل الجسـور ٠٠ كل عـام وأنت بخـيرك وقوتك وحكمتك ٠٠ ومصر كلها بخير وحرية وسلام ٠**

**« عاشت مصر »**

**سمير عبد العزيز فرج**

**٢٥ ديسمبر ١٩٧٧**

# الفصل الأول

# علم و إيمان

## عـلم وايمـان

**« السلام عليكم ورحمة الله ٠٠ والسلام لنا جميعـا باذن الله ٠٠ السلام لنا جميعا على الأرض العربية وفى اسرائيل ٠٠ وفى كل مكان من أرض هذا العـالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التى يصنعها الانسان ليقضى بها على أخيه الانسان » ٠**

بهذه الكلمات المضيئة افتتح الرئيس «محمد أنور السادات» خطابه التـاريخى أمام الكنيست الاسرائيلى فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ٠

ان اختيار الرئيس السادات « تحية الاسلام » لتكون أول حديثه لأعضـاء الكنيست الاسرائيلى ، ولتكون أولى الكلمات التى تتلقاها مسـامع كل العـالم المسيحى والاسلامى ، يعد ـ بادىء ذى بدء ـ اعـلانا عن ذكاء القـائد وقوته ، الذى اقتحم عدوه متحديا فى عقر داره ، وهو مجرد الا من سلاح السلام ٠٠ سلاح يغرسه فى قلب كل من يريد أن يجعل من

اختلاف الأديان سببا للحرب ·· سلاح ليس من حديد ونار ، بل هو من غصن الزيتون ، نبت فلسطين .. أرض كل الأديان.

وكما كان السادات في بداية خطابه قويا بسلام الاسلام ، كان أيضا في ختامه محكما بآياته ، فانتهى بقول الله تعالى :

**« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » ·**

بهذه الكلمات النورانية أراد السادات أن يشير الى حقيقة، علمية كما أنها كونية ، مؤداها أن الأجزاء بطبيعتها تسعى لأن تتجمع في البناء الذى يجانس فيما بينها ، سعيها لأن تنتظم في الصيغة التى تحافظ على اتزانها · ومن ثم فان اليهودية كدين ، لا يمكن أن تشكل هذا البناء الكلى ، الذى يجمع بين الأديان الأخرى ــ المسيحية والاسلام ــ في وحدة كلية ، وذلك بحكم سبقها عليهما ان لم يكن رفضها لهما ·

واذن فان الدين اليهودى لا يمكن الا أن يكون جزءا من بناء أشمل يستطيع الاستمرار فيه · وهذا أيضا ينطبق على المسيحية كدين ، اذ هى بحكم سبقها على الاسلام ، وحساسيتها

مع اليهـودية ، لا يمكن أن تشكل هـذا الانتظام الكلى الذى يتمكن من تحقيق الاتزان المنشود بين أجزائه ·

وهكذا تقرر تلك الآيات الكريمة أن « الاسلام » هو الذى يستطيع أن يشكل البناء العام أو الصيغة الجامعة التى تحقق التوازن بين كل الأجزاء فى وحـدة كلية منتظمـة · اذ أن المسلم لا يتحقق اسلامه الا اذا آمن ــ فى نفس الوقت ــ بكل الأديان السابقة عليه ــ المسيحية واليهودية ــ والمنزلة من **الاله الواحد لهم جميعا** · ولعل الحديث الشريف المشهور قد أكد هذا المعنى حين قرر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنه كان بمثابة « اللبنة التى أتمت البناء » · ولكنها كانت لبنة أساسية ، أشاعت فى كل البناء نورها وسلامها ، وضمنت له التوازن والاستمرار باعترافها بكل لبنات البناء التى سبقتها، فاستحقت بذلك دور الريادة . فكان محمد عليه الصلاة والسلام اماما لكل الأنبياء حين صلى بهم عند الصخرة فى القـدس ، معراج رسول الله الى رب السموات والأرض والخلق جميعا ·

ان حقيقة أن الاسلام هو الذى يشكل الانتظام الجامع الذى يستطيع أن تتعايش بداخله كل الديانات الأخرى فى سـلام واتزان ، لا تنبع من نظـرة ذاتيـة ، بل تقـوم على تحليل موضوعى غير متحيز · ذلك لأنها تستند من ناحيـة أولى الى

قوانين علمية وكونية عرضها « علم نفس الجشطلت(١) » ، كما تستند من ناحية ثانية على مسلمات ثابتة فى الدين الاسلامى • ونقصد « بالمسلمات الثابتة » تلك الآيات القرآنية التى لا يمكن لها أن تتغير • ولن يؤثر اذن فى مدى موضوعية هذا التفسير ، أن يكون الاسلام دينا حقا فى عقيدة المسلمين ، أو دينا كاذبا فى نظر الملحدين ، لأن المسلم ــ بحكم عقيدته ــ سيظل مؤمنا بالمسيحية ايمانه باليهودية ، كما سيظل مطالبا بالمعاملة الحسنة حتى مع هؤلاء الملحدين الماديين ، طالما التزموا بشروط السلام الأمين « وجادلهم بالتى هى أحسن » •

ان هذه القوانين العلمية التى تحكم الوحدة الكلية للبناء « الجشطلت » ، تنطبق على العلاقات الانسانية انطباقها على عالمى الفيزياء والبيولوجيا • ولعل الحديث الشريف قد عبر خير تعبير ، عن هذه الوحدة ذات الطبيعة **الدينامية** ، حين شبه

---

( ١ ) ظهرت نظرية « الجشطلت » فى ألمانيا عام ١٩١٢ • وهى تعبر عن تيار فلسفى نفسى • وتدين بالوحدانية • فلا انفصال بين العقل والجسم أو بين العقل والكون • بل هى تفسر العالم الفيزيائى والعالم البيولوجى والعالم العقلى من خلال نفس القوانين والشروط التى تحكم مفهوم الصيغة أو البنية • وتركز على التفاعل الدينامى والتأثير المتبادل الذى يحدث بين أجزاء البناء الواحد • لينتج فى النهاية الوحدة الكلية للبناء • مكتسبا بذلك خواص جديدة تميزه • وهى كنظرية نفسية تحاول اقامة تصور كلى الطابع للسلوك • فالفرد يسلك تبعا للموقف الذى يعيش والمجال الذى يتواجد فيه • وتبتعد عن التطرف موضع النقد فى كل من نظريات التحليل النفسى ( فرويد ) والسلوكيه ( وطسن ) • وقد ترجمت كلمة « جشطلت » وهى **بالألمانية** gestalt الى عدة مرادفات منها : فى الانجليزية Structure وفى الفرنسية : forme • وفى العربية : صيغة • بناء • بنية • انتظام • وحدة كلية •

**« المؤمن للمؤمن كالبنيان الواحـد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ٠**

ولقد عبر الرئيس السـادات عن الوحـدة البنائية التى تربط دول المنطقة من خلال كلمات بسيطة جامعة وردت فى افتتاحية خطابه التاريخى ـ فجسـدت منذ البـداية جوهر القضية ٠

فأرض اسرائيل ٠٠ وأرض العرب ٠٠ جزءان من أرض هذا العالم الكبير ٠ وكل منهما ـ اسرائيل والعرب ـ يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، كما ـ فى نفس الوقت ـ يؤثر ويتأثر بكل ما يجرى فى بقية أجزاء العـالم ، وان اختلف الأثر تبعـا لاختلاف الجزء ٠ ولكن هذا البنيان الكلى ، تسوده الصراعات الدامية ، ويضطرب بالتناقضات الحادة ، التى تهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التى يصنعها الانسان ليقضى بها على أخيه الانسان ٠ ومن منطلق هذه الرؤية الشـاملة ، ينشد الرئيس السادات ـ بادىء ذى بدء ـ **تحقيق الاتزان لهذا البنيان بتحقيق السلام** فى المنطقة ، وفى كل مكان من أرض هذا العالم ٠ واذا كنا نحن ـ العرب واسرائيل ـ أولى بتصفية الحرب الدائرة فيمـا بيننا ، فان بقية الدول شريكة معنا أيضا فى هذه المسئولية ، بحتمية التأثير المتبادل فيما بين أجزاء عالمنا الكبير ٠

من خلال هذه الرؤية الأولى للقضية نشعر أن الرئيس السادات يمارس سياسته بحدس علمي صادق وايمان اسلامي عميق • انه لا يجمع بين العلم والايمان جمعا اضافيا ، بمعنى أن يتصرف بعلمية بحتة في مواقف ، وبايمانية خالصة في مواقف أخرى • ولكن العلم والايمان قد امتزجا في قلبه وعقله ، فأضحى يقود أمته في كل قضاياها ، بأسلوب هو في نفس الوقت : علمي ايماني •

وتقوده فطرته المؤمنة ، وبصيرته الملهمة الى المنابع المباركة في الاسلام الحنيف ، لينتقي منها ما يلائمه •

# الفصـل الثانى

## عبقرية و بطولة

⊙

# عبقرية وبطولة

**لقد رسم الرئيس السادات ، منذ أن تولى حكم مصر ، دائرة جديدة خارج مدارنا العظيم تثير الدهشة والاعجاب ، وتجذبنا الى مسار جديد لمستقبل مجيد •**

ان المجتمع الحر لا يستطيع أن يتقدم بدون أبطال ، فهم أكثر الوسائل حيوية فى اظهار قدرة الرجال الأحرار • فالبطل يظهر للعالم أجمع الامكانات غير المتوقعة فى الفكر ، كما أنه يظهر مصادر القوة التى لا يتخيلها الناس •

وكانت مبادرة السادات للسلام تأكيدا لسمات الحكمة والبطولة التى يتمتع بها هذا الزعيم • فلقد تقدم بأمته الى آفاق جديدة ــ رآها هو فقط بما رزقه الله من بصيرة ــ ففتح الطريق ليتقدم عليه الآخرون •• يتحمل المصاعب وحده •• ويتلقى الصدمة وحده •• ويستمر فى تقدمه بقوة ايمانه العميق وحدسه الصادق • حقا ما قاله امرسون : « ان البطولة تعنى المصاعب كما أنها تعنى تأخير المديح والراحة ، وكما أنها تشمل ادخال العالم فى دنيا البيت الصغير الخاص وادخال الخلود الى الزمن الآتى المحدود الذى تقيسه الساعة فى غرفة الجلوس » •

ان ما يؤكد أن السادات نشأ بطلا عبقريا ، تلك المبادرات البطولية التى سبقت مبـادرته للسـلام • ان هذا التكرار البطولى انما يعنى أن كل مبادرة كانت فعلا مقصـودا ينبعث عن أصالة ذاتية ، وليست سـلوكا عشوائيا حـدث من قبيل الصـدفة • ولنذكر بعض هذه البطولات المتكررة على سبيل المثال لا الحصر •

بدأ السادات منذ الثلاثينيات برفضه للواقع السياسى فى مصر آنذاك • ومن ثم أخذ يعد نفسه لتغييره تغييرا جذريا • وما كانت **ثورة ٢٣ يوليو** الا تعبيرا منه ومن اخوانه الأحرار عن القدرة على الانفصال عن واقع مرفوض ، سعيا وراء جديد مأمول • ويبقى للسادات هنا مبادرته الأولى على هذا الطريق البطولى ، سواء حين اشترك فى ثورة شباب ١٩٣٥ ، أو حين قام بتشـكيل أول تنظيم للضباط الأحـرار عقب حادث الرابع من فبراير ١٩٤٢ • ثم كانت مبادرته **بثورة ١٥ مايو** التى وضح فيها حسه الصادق وقدرته على الاطاحة بمراكز القوى المضللة • فأنقذ شعب مصر من انحراف ثورته عن طريقها ، وكان التصحيح • ثم مبادرته **بطرد الخبراء السوفييت** متخطيا ببصـيرته وأصالته كل المقاييس التى كانت فى متنـاول كل العقول آنذاك • ثم مبادرته **باطلاق الحريات** وانشاء أحزاب المعارضـة متجاوزا بذلك حذر الخائفـين وصياح الجامدين • ثم كان **قرار العبور** فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولو كان السادات قد سار فى تفكيره على أساس الحسابات العسكرية وقوانين الحرب

المتفق عليها ، أو استجاب الى تقديرات دعاة الهزيمة آنذاك ، لما اتخذ مثل هـذا القرار التاريخي • ولكنه أقبل على هـذه المسـئولية الخطيرة بايمانه العميق وبذكائه المبصر • ولقـد صدق رسول الله حين قال : « **احذروا فراسة المؤمن** » •

انهـا قدرة البطل المؤمن على أن ينفصل عن الواقع الذى يكبل الآخرين ، كى يحلق وحده الى أعلى •• يستقى من نور السماء ما يغير به وجه الأرض •• ان اعتكافه فى رمضان مع الرحمن •• وسـكينته فى خـلواته مع الأرض الخضراء •• يتيحان لصفائه النفسى أرجاء فسيحة ، تساعد على مزيد من التأمل لكل جوانب المشكلة المطروحة •• فاذا بنور الحل يشع فجأة فى قلبه •• ومن ثم يكون القـرار مصـداقا لتفـاؤله الايمانى الذى يتخطى كل يأس أو قنوط •

وما كان قرار الذهاب الى القدس الا قدرة على الانفصال عن الواقع الجامد للمشكلة ، وتحريكها من خلال رؤية جديدة تماما ، كما أنه تعبير عن مرونة مبتكرة ، وقدرة فائقة على التكيف مع المشكلة ، من خلال حل جديد •

**واذا كانت السـمات الأساسية للذكاء هى : المرونة ، الابتكار ، قابلية الفكر للتكيف ، فاننا ـ ازاء هذا السلوك التـاريخى الفريد ـ نكون اذن أمام عبقرية بطل ، لديه من الثراء ما يمكنـه من تكرار المبـادرات البطولية ، ولديه من الايمان ما يحميه من الأحقاد السوداوية •**

ان القول بأن الرئيس السادات يملك « عبقرية بطل » لا يأتي من فراغ أو من ذاتية متحمسة ، بل هو نتاج تحليل علمي وبديهي لأحداث كبرى شهد لها كل العالم ، ومن بينهم من يسمون أنفسهم بجبهة الرفض . ولعلنا ندرك للوهلة الأولى، ان تلك المبادرات البطولية التي قدمت ـ على سبيل المثال « ثورة ٢٣ يوليو ، ثورة ١٥ مايو ، طرد الخبراء السوفييت ، اطلاق الحريات ، قرار العبور في ٦ أكتوبر » **كلها مبادرات تشترك في متشابهات هي :**

- تبدأ من واقع مرفوض يتطلب تغييرا جذريا ٠
- تشكل حلا جديدا لا يخطر على بال ٠
- تلقى فور اعلانها تأييدا جامعا من شعب مصر ، الواعي بفطرته ، الواثق بقائده ٠
- تثير اعتراضات قوية من سياسيين مزايدين ، ورفضا حادا من معادين حاقدين ٠
- تحقق نجاحا رائعا كحل نموذجي عند التنفيذ وبعده ٠
- تغير ذلك الواقع المرفوض الى الجديد المأمول ٠

**ان تكرار مثل هذه المبادرات العظيمة ، واشتراكها في كل تلك المتشابهات الفريدة ، انما يشير ـ من وجهة نظر علمية ـ الى عبقرية صاحبها ٠**

**ألم يتعلم بعد هؤلاء الرافضون ؟ !**

ان **الرفض الأمين** من سماته موضوعية المناقشة • وهو أيضا رفض شجاع ، مستعد لأن يتراجع اذا ما ظهرت له عوامل جديدة تدعوه لتعديل موقفه • كما أن الرفض اذا كان أمينا حقا يكون لزاما عليه فى مثل هذه القضية المصرية ، أن يدعم ــ بشكل أو بآخر ــ مبادرة الرئيس السادات ، طالما تنادى بنفس المطالب ، ثم عليه أن ينتظر النتائج ، فان كان نجاحا باركه ، وان كان اخفاقا فليبحث الجميع عن حلول أخرى. **ان هناك من الأخطاء ما هو حسن من حيث أنه يؤكد صحة طرق أخرى للحل** • والحق أقول أن بعض الاخوة العرب قد اختاروا أن يقفوا ــ ازاء مبادرة السلام ــ على أبعاد مختلفة بين ذلك الرفض الأمين الايجابى ، وبين رفض أمين مقابل ، ولكنه يتصف بالسلبية المطلقة ، حتى أنك لا تكاد تسمع له صوتا •

أما ذلك **الرفض السيكوباتى** فانه ينبع من نفوس مريضة بعقدة النقص ، نفوس عاجزة لا تملك الا هذا الرفض الآلى ــ الرفض للرفض ــ فاذا أيدنا السودان والمغرب ، عارضنا رؤساء ليبيا والجزائر • هذا الرفض الميكانيكى ينبع من عقول غبية جامدة ، غباؤها لا يساعدها على استيعاب أبعاد المبادرة ، حتى وان حاولت ، كما أن جمودها يمنعها من ممارسة أى جديد ، فلا تملك الا أن تدور فى دورة ألفتها ، وهى لا تدرى أنها تدور حول نفسها •

ان مبدأ التقاء الوقائع أو تكرار المتشابهات ، يمكن أن يطبق هنا أيضا على سلوك هؤلاء الرافضين ، لاثبات آلية رفضهم وغباء عقولهم ٠

- فقد رفضوا من قبل اتفاق فض الاشتباك الأول ـ بعد حرب أكتوبر ـ ثم تراجعوا !
- ثم رفضوا اتفاق فض الاشتباك الثانى أيضا ـ ثم تراجعوا !
- ثم رفضوا مبدأ التفاوض فى جنيف من أجل السلام ـ ثم تراجعوا !
- والآن يرفضون مبادرة السلام ـ ثم ٠٠٠ ؟ !

**انه صدام بين الغباء والعبقرية .. بين الجمود والحركة .. بين الجبن والشجاعة ٠٠ بين التخلف والحضارة ٠٠ بين الأخذ والعطاء ٠٠ بين النرجسية والايثار ٠٠ ولكنه ليس صداما بين الشعوب ٠٠ ان جوهر المشكلة يكمن فى تلك الفروق الكيفية فى بنية الولاء ٠**

# الفصل الثالث

# الولاء الحق

# الولاء الحق

ان رئيس الدولة هـو أولا وأخيرا ٠٠ فرد انسـان ٠٠ يتصرف طبقا لبنائه النفسى ، وتبعا لادراكه للمواقف ٠ ولعل مفهوم « الولاء » يشير الى أحد الدوافع الأساسية خلف قراراته المصيرية ٠

فماذا اذن تكون طبيعة البناء الذى يشكل ولاء الفرد ؟

## وماذا تكون طبيعة البناء الذى يشكل ولاء رئيس الدولة ؟

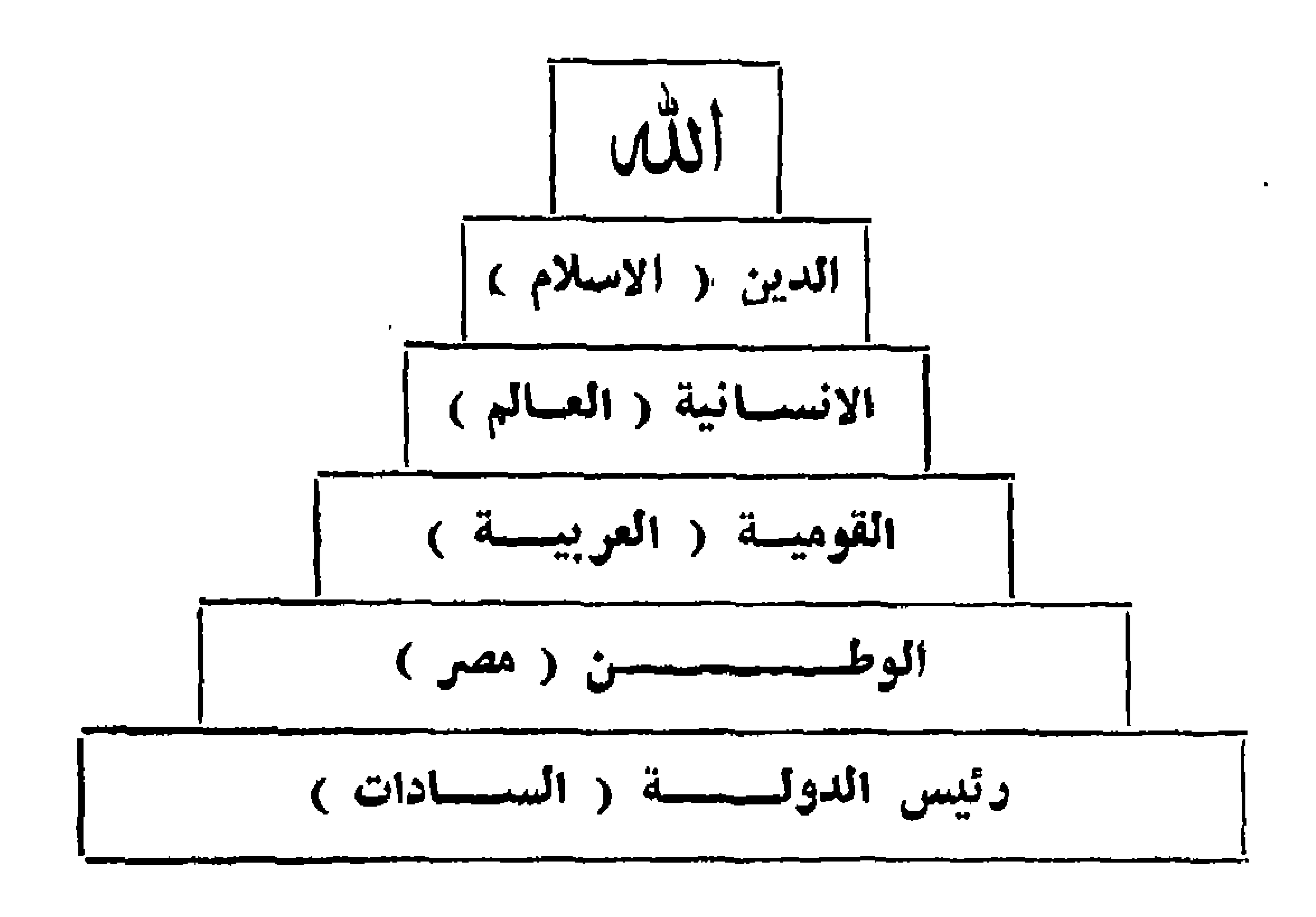
ناقشت فى دراسـة سابقة(١) مفهوم « الولاء » للفرد ، كوحدة بنائية متكاملة ، ذات طبيعة دينامية « جشطلت » ٠ وقد عرضته فى شكل بناء هرمى ، الفرد فى قاعدته ، والله سبحانه وتعالى على قمته ، وبين القاعدة والقمة يكون المجتمع بمختلف أبنيته ٠ ولا شـك أن الأسرة ( الوالدين ) تحتل الدرجة الأولى الملاصقة للفرد ، وتشـكل العامل الحاسـم فى تكوين ولائه ، يليها البيئة المعاشة ( المدرسـة ) ، ثم محيط

( ١ ) نفس الباحث ـ الولاء ـ دراسة نظرية تجريبية ـ المخابرات العامة ـ ١٥ مايو ١٩٧٧ ـ الفصل الأول ٠

العمل ( نوع العمل وعلاقات الرؤساء والزملاء ) ، وبعد ذلك تأتى الوطنية ، فالقومية ، فالانسانية ، فالدين ·

**ويكون ولاء الفرد اذن هو المحصلة النهائية للتفاعل الدينامي الذى يحدث بين هذه الأبنية الجزئية للبناء الهرمى الكلى ، كما أن الاتصال السليم بين قاعدة الهرم وقمته ، أعنى بين الفرد وربه ، هو السبيل الوحيد لتحقيق التوازن السليم فى الوحدة الكلية للبناء ·**

ونناقش الآن ـ فى ايجاز ـ مفهوم « الولاء » كوحدة بنائية تشكل جزءا أساسيا فى البناء النفسى لرئيسى الدولة · وسنقتصر على عناصرها التى نعتقد أن لها الدور الرئيسى ازاء بحثنا الراهن ـ ونعرضه فى الشكل التالى :



لا شك أن التوازن السليم يتحقق فى هذا البناء ككل ، اذا جاء قرار رئيس الدولة منسجما مع متطلبات جميع الولاءات الجزئية للبناء الهرمى ، ومشبعا لحاجاتها · أى أن يكون محققا لذاته كفرد ، وملبيا لحاجات وطنه الذى يحكمه ، كذا حاجات باقى الأوطان الأخرى التى تندرج تحت راية القومية التى ترمز لهم جميعا ، كما لا يجب أن يتعارض قراره مع مطالب الانسان أينما كان ، ان لم يكن فى خدمته · وفى نفس الوقت يكون القرار نابعا من عقيدته الدينية ويحظى برضاء الأديان الأخرى خاصة فى داخل وطنه ·

ان رئيس الدولة لن يستطيع أن يحقق هذا التوازن العام الا اذا كان الاتصال سليما بينه وبين الله سبحانه وتعالى الذى يهيمن على كل هذا البناء ، بل على كل الخلق أجمعين · ان الله فى علاه هو الواحد الأحد ، وما دونه هو العدد المختلف ، فاذا أردنا المركز الذى يتوحد عنده كل المختلفين ، فسننتهى الى الله سبحانه · ومن هنا فكلما كان قرار رئيس الدولة منسجما مع شريعة الله كلما حقق أفضل توازن بين أجزاء البناء التى سوف تتأثر به . ان مثل هذا القرار سيكون حتما قرارا مباركا لأنه نبع من ولاء حق ·· لأن الحق جل جلاله قد شرع لنا السبيل لاقامة هذا البناء المتكامل ، وضمن لنا اتزانه واستمراره اذا ما أقيم على هدى القرآن وسنة الرسل ·

**ان مثل هذا القرار سيكون حتما قرارا مباركا حتى وان لم يوافق أهواء البعض ، صدقت نياتهم أو كذبت ، فى داخل**

**الوطن أو فى خارجه • انه سيكون حتما قرارا مباركا حتى ان تأخر نجاحه قليلا أو كثيرا • ولعل فى صلح « الحديبية » وفتح « مكة » برهان على ذلك •**

ان الولاء الأفضل الذى ينبثق من ذلك البنـــاء الهرمى ، ليس هو مجموع الولاءات الجزئية التى يتضمنها البناء ، كما أنه أيضا ليس موزعا بالتســاوى فيما بينها ـ وذلك حسب ما تقرره قوانين الانتظام الحسن • اذ أن كل جزء من هــذا البناء يضطلع بدور مختلف عن الأجزاء الأخرى ، كما أن هذا الدور يختلف فى ظروف عن أخرى •

**ومن هنا تكون الأهمية القصــوى لرئيس الدولة بالنسبة لدرجــة حســاسيته واستبصاره كى يدرك ادراكا ســليما ، الأهمية المتغيرة لكل جزء ، والطبيعة الديناميه التى تنتظم بها الوحدة الكلية للبناء ، وأى الأجزاء ( الوطن •• القومية •• العالمية •• الدين ) ـ فى ظروف محــددة ـ يضطلع بالدور الرئيسى فى حفظ توازن البناء الكلى ، بمعنى أنه اذا ما حدث تغيير جوهرى فيه يتبعه بالضرورة تغيير جوهرى فى كل البناء.**

**ولعل أحــد الفروق الجوهرية بين « أنور الســـادات » و « جمال عبد الناصر » يكمن فى مــدى تقــدير كل منهما للشروط الديناميه التى يقــوم عليهــا التوازن العــام فى « جشطلت الولاء » •**

فاذا صرفنا النظر عن الرأى القائل بأن **عبد الناصر** كان يسعى الى تحقيق مجد أكبر عن طريق زعامته للأمة العربية ، فانه يمكن القول بأن عبد الناصر قد قدر أن اذابة مصر فى اطار الأمة العربية وتوجيه معظم طاقاتها لتدعيم بقية أجزاء البنـــاء العربى ، يمكن أن يحقق أفضـــل توازن فى الوحدة الكلية للبناء ، بما يجعله بناء قويا قادرا على الاستمرار ، ومن ثم فقد كان ولاؤه ذا صبغة عربية أكثر منها مصرية بالدرجة التى أخلت بتوازن البناء الكلى • ولعل الغاء اســم « مصر » ليصبح « **الجمهورية العربية المتحدة** » ــ حتى بعد فشل الوحدة مع « سوريا » ــ اشارة رمزية لهذا الاتجاه •

هذا الادراك من عبد الناصر يتنافى مع قوانين الانتظام أو مبادىء الجشطلت • اذ أن « مصر » ــ وان كانت جزءا من البناء العربى ــ الا أنها جزء حيوى يضطلع بالدور الرئيسى الحاسم فى هذا البناء ، بمعنى أن أى تغيير جوهرى يحدث لها ســوف يؤدى بالضرورة الى تغييرات جوهرية فى كل أجزاء البناء • ولكن العكس قد لا يكون صحيحا دائما بالنسبة لبقية الأجزاء الأصغر • أى أنه اذا حــدث تغيير جوهرى فى دولة عربية صغرى فقد لا يترتب عليه نفس الأثر فى بقية الدول العربية • ان « مصر » هى قلب الأمة العربية ، وأى اضطراب يحدث لهــذا القلب فانه سينعكس على كل أعضــاء الجســد العربى • كما أن هذا الجسد يمكنه أن يعيش ويستمر ، حتى وان اضطر الى بتر اصبع أو أكثر ، من أصــــابع اليــدين

أو القدمين • ان قوة مصر أخذت تضعف سنة بعد سنة منذ أوائل الستينيات ، أى منذ حرب اليمن ، فكان من السهل أن توجه لها ضربة قاضية فى يونيو ١٩٦٧ ، وبنكستها انتكست الأمة العربية معها • وعلى الناحية الأخرى ، فان التغيير الجوهرى الذى حدث فى اليمن لم يؤدى الى تغييرات مناظرة فى بقية البناء ، بل ظل الجسد العربى وهنا مريضا حتى جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ • ومن هنا فان توجيه طاقات مصر لخدمة أجزاء صغرى من البناء العربى بالحجم الذى يعمل على ضعفها ، يسبب اضطرابا فى كل التوازن العربى ، ليجعل منه بناء هشا ضعيفا — حتى مع وجود نجاح محلى فى أحد أجزائه الصغيرة .

وعلى خلاف عبد الناصر ، أدرك **السادات** — بحدسه الصادق — أهمية الدور الذى تلعبه « مصر » بالنسبة للأمة العربية ، كما أدرك أن العمل على تقوية مصر انما يقوى بدوره كل البناء العربى ويحافظ على اتزانه واستمراره ، بل ان الأمر يدعو بقية أجزاء الأمة العربية لأن توجه جزءا من طاقاتها لتدعيم « مصر » ، كى تتمكن من الاضطلاع بدورها القيادى ، ليس فحسب لضرورة قومية ، بل لأن العائد سينعكس مرة أخرى على كل البناء العربى أضعافا مضاعفة • وليس أدل على ذلك من نتائج حرب أكتوبر المجيدة ، فحين انتصرت مصر وعبرت قناة السويس ، عبرت معها كل الأمة العربية منتصرة فخورة • وحين قامت الدول العربية المنتجة للبترول — وفى مقدمتها المملكة العربية

السعودية ـ بقطع البترول عن أوروبا وأمريكا تدعيما لموقف مصر وسوريا فى حربهما ضد العدو المشترك ( العدو المشترك لكل الأمة العربيــة ) زادت أســعار البترول ، ليرتد الثمن أضعافا مضاعفة للدول العربيةالمنتجة للبترول ، والتى كان عليها بدورها أن تزيد دعمها المالى والاقتصادى لمصر ، حتى تظل صامدة قوية تضطلع بدورها القيادى . هكذا تكون الدورة الدموية الصحيحة فى الجسد الصحيح المعافى ، وهكذا يتحقق التوازن السليم لكل البناء العربى • ولعلنا نلمح من خـلال استبدال اسم « الجمهورية العربية المتحدة » باسم « **جمهورية مصر العربية** » دلالة رمزية تشير الى الادراك الواعى والعميق بديناميات البناء العربى • فمصر جزء من الأمة العربيــة ، ولكنها بحكم وزنهـا الحضارى ، وحجمهـا الكبير ، ودورها الحاسم ، يجب أن نحافظ على كيانها قويا متوازنا ، اذا أردنا أن نحافظ على كل الكيــان العربى قويا ومتوازنا مع بقيــة أجزاء عالمنا الكبير ، وذلك بحتمية الاعتمــاد المتبــادل الذى يحكم أجزاء أمتنا العربية •

ومن هنا كان ولاء السادات لمصر ، هو فى نفس الوقت ، ولاءا لأمته العربية • انه ولاء قوى متوازن ، يقوم على وعى بالقوانين العلمية التى تحكم ديناميات هذه المنطقة من العالم. كما أن مبادرة السادات للسلام ما هى الا تجسيد لذلك الولاء الشــامل ، الذى يلبى فى توازن ســليم كل حاجات الولاءات الجزئية داخل انتظامها الهرمى ( مصر ـ العرب ـ العــالم ـ

الأديان ) ، فى حين أن رفض المبـادرة يعبر عن ولاء ناقص مريض ، وان اختلف المرض باختلاف الرافضين ٠

أليس السلام القائم على العـدل مطلبـا وطنيا وقوميا ، يسعى اليه الانسان حيثما كان ؟ أليس هو دعوة الله لخلقه من خلال كل الأديان ؟

فاذا كان الجواب بالايجاب ، فان جوهر المبادرة اذن ينسجم بالضرورة مع كل البنـاء الهرمى للولاء الحق من قاعـدته الى قمته ٠

ان ولاء السـادات ، ولاء يبرأ من أن ينغلق على ذاتيـة ضيقة ٠ ان السـادات على طول كفاحه الوطنى قد وسع من ذاتيته حتى احتضنت كل وطنه ٠ انه لم يعد فردا يعيش فى مصر ، بل صارت مصر هى التى تعيش فيه ٠ ولقد كان فى تأجيل قرار الحرب عامين كاملين بعد **عام الحسـم فى** ١٩٧١ الذى وعد به السادات ، ليكون فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، برهانا قاطعا على أمانة السادات وشجاعته ، وعلى صدق ولائه تجاه وطنه وعروبته ، وعلى استعداده دائما لأن يضحى بذاته كفرد فى سبيل أمانة الحـكم ٠ وأعتقـد أن الله سبحانه وتعالى قد حقق للسادات وعده ، لأن عام الحسم هذا ، كان بالفعل عاما حاسما فى ذلك الخداع الاستراتيجى الذى مهد لحرب أكتوبر ، فاقتنع الاسرائيليون أن السادات انما يقول كلاما فقط ولكنه لا يسـتطيع التنفيـذ ، الى أن تحطم خط بارليف فعـرفوا **أنه الوعد الحق** ٠

ولقد اعترف بذلك الجنرال « **حاييم هيرتسوج** » فى كتابه « حرب التكفير » فقال :

« كانت اسرائيل قد كونت صورة معينة للرئيس السادات تقوم على أساس أنه يذهب فى استعداداته للحرب الى آخر الحدود .. الى حافة الهاوية .. ثم يعود أدراجه مرة أخرى ، وبناء على هذه الفكرة الخاطئة عن شخصية السادات ، اعتقد القادة الاسرائيليون أن الأمر سيمر مثل المحاولات السابقة .. واعتقدوا أنها مناورات أخرى سرعان ما تنتهى ، ثم مالوا الى ابتلاع وسائل الخداع الأخرى التى ألقتها اليهم القيادة المصرية ، وأصبحوا بذلك يرون ولا يبصرون ، يرون بأعينهم ولا يصدقون ما يرونه !! » .

**ان مبادرة السادات للسلام لم تعبر الا عن المطالب العربية وهى :**

- انهاء الاحتلال الاسرائيلى لكل الأراضى العربية التى احتلت بعد يونيو ١٩٦٧ .

- الاعتراف بحقوق شعب فلسطين .

**اذن ماذا يرفض الرافضون ؟ !!**

واذا سلمنا جدلا أنهم لم يرفضوا ما نادى به السادات من شروط الحل الشامل للقضية ، ولكنهم رفضوا فقط ذهابه الى القدس ، بما قد يحمل معنى الاستسلام فى نظرهم • ولكن ألم يفطنوا الى أن الاستسلام يكون فى حالة أن يذهب السادات ضعيفا كى يستمع الى شروط تملى عليه ، ولكن ما حدث عكس ذلك ، فقد ذهب السادات منتصرا بعد حرب أكتوبر المجيدة ، وأعلن شروطه للسلام ، السلام القائم على العدل ، العدل والأمن لكل دول المنطقة • وهى نفس الشروط التى اتفق عليها العرب جميعا فى مؤتمر الرباط •

**واذن • فماذا يا ترى سبب الرفض ؟**

**انه الخوف والحقد ••**

**الخوف الطفولى** ، خوف الطفل من ابتعاد أبيه • لقد خافوا أن يقرر السادات الانفصال عنهم سيرا فى اتجاه حل ثنائى بين مصر واسرائيل •

**ولنقف هنا وقفة موضوعية** • أليس معنى هذا الخوف الذى عبرت عنه تشنجات بعض الرافضين أن « مصر » هى العامل الحاسم فى القضية العربية ، كما يعنى فى نفس الوقت ، أن لديها القدرة على الاستقلال الذاتى للحل الذاتى ؟

واذا كانت لهؤلاء الرافضين القدرة على حلول ذاتية ترضيهم ، أو ليس فى مجموع هذه الحلول الذاتية حلا للقضية كلها • كان من الأولى اذن على هؤلاء الرافضين ـ اذا افترضنا حسن نواياهم ـ اما أن يسعى كل منهم لحل ذاتى يرضيه ، واما أن يلتحم بمصر ويدعمها فى موقفها طالما هى تنادى بحل عربى شامل • ولكن هذا الرفض لا يتفق مع سمات النضج والاتزان الانفعالى ، انه رد فعل يعبر عن خوف طفولى ليس له أساس من الصحة • ان الصياح البذىء من أفواه الرافضين أشبه بصياح مريض ذهانى يتخيل أشباحا تهاجمه ، وهى فى الواقع لا وجود لها الا فى عقله المريض •

وحتى اذا سلمنا جدلا بدعوى الحل الثنائى بين مصر واسرائيل ، فان مثل هذا الحل يكون خطرا على البناء العربى فى حالة ما اذا انفصلت مصر ـ وجدانيا ـ ومصيريا ـ عن عروبتها ، ولكن مثل هذا الفرض مستحيل التحقيق ، لأن العروبة هى هوية مصر بين العالم الفسيح ، انها جمهورية مصر العربية • ولكن المنظور يختلف جذريا ، اذا ما نظرنا الى افتراض « الحل الثنائى » ، وهو فى اطار حل شامل للقضية ، وكان فيه قوة وتدعيما لمصر ، ان القوة المضافة لمصر فى هذه الحالة ـ سواء كانت قوة سلام أو قوة حرب ـ سوف تكون قوة مضافة للبناء العربى ككل ، من حيث أن مصر

ـ كما قدمنا ـ هى العامل الحاسم فى المنطقة العربية • هذه القوة المضافة سوف تساعد بقية الدول العربية على حل شامل للقضية كلها •

**فما بالنا ومصر تصر ابتداء على حل شامل للقضية !!**

**ان مبادرة الرئيس السادات للسلام ، انما هى تجسيد للولاء الحق ، من حيث هى تؤكد على مطالبها من خلال مطالب كل العرب ، كما تؤكد على مطالب كل العرب من خلال مطالبها. كل ذلك من خلال العدل الذى ترتضيه الانسانية كلها ، واستنادا الى الحق الذى شرعه الله تعالى •**

**ولكن ذلك الرفض النابع من الخوف ، فانه يعبر عن ولاء ضعيف غير متوازن ، وولاء ناقص غير متكامل ، هو على أحسن الفروض ـ ينغلق على وطنية محلية ليس لها امتدادا قوميا أو عالميا ، وطنية تنادى : أنا ومن بعدى الطوفان •**

**أما هؤلاء الرافضون بدافع الحقد ، فان رفضهم ينبع من ولاء مريض يقف عند حدود الذاتية الشخصية ، حتى وان تعارضت مع مصالح أوطانهم أو تعارضت مع كل شريعة ودين • فهم لا يرون من المبادرة الا أنها نبعت من الرئيس السادات ، ولا يدركون منها الا وقفة الاجلال والاحترام التى**

**وقفها العالم كله أمام هذا القائد الشجاع ، وهذا يكفى لأن يشعل نار الغيرة والحسد فى نفوسهم المريضة .**

**« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » .**

ان النضج يعنى أن يتعامل المرء مع المواقف المختلفة بما يناسب حجمه الحقيقى ، بلا زيادة تجره الى مقادير لا يقدر عليها ، وبلا نقصان يحرمه من مكاسب ممكنة له ، وهذا ما عبر عنه الحديث الشريف : « رحم الله امرىء عرف قدر نفسه » . ولكن هؤلاء المرضى يسعون الى أدوار هى فى واقع الأمر أكبر من حجمهم الحقيقى ، ومن ثم يعوضون هذا الفرق بطريقة سلبية بل ومرضية . فنراهم أحيانا يتحركون فى دائرة مغلقة لا تقربهم خطوة نحو الهدف الذى يطلبونه . مثلهم مثل من يسير فى محله « خطوة تنظيم » ليقنع نفسه أنه يتحرك ، حتى لا يبدو واقفا أمام نفسه وأمام الآخرين . وهم كذلك منذ قيام اسرائيل حتى الآن ، ولم تكن تلك الاسهامات التى قدموها للصراع العربى ـ الاسرائيلى ، سواء فى شكل ارسال بعض القوات الرمزية للجبهة المصرية السورية وقت الحرب ، أو فى شكل مساعدات مالية متواضعة لا تفى بالحاجات الفعلية

للصمود المصرى ، كما لا تتوازى مع ثرائهم البترولى ( خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول نتيجة حرب أكتوبر ) ، أو فى شكل بيانات مؤيدة لا تغنى ولا تسمن من جوع ـ لم تكن مثل هذه الاسهامات المتواضعة لتحقق شيئا أكثر من المحافظة على وضع : « محلك سر » ٠ كما نرى هؤلاء الرافضين فى أحيان أخرى ، يعوضون ذلك الفرق بين حجمهم الحقيقى والأدوار التى يطمحون اليها ، وهى لا تخرج عن سعى وراء الزعامة ، بمثل هذه الشتائم البذيئة التى تنبعث من اذاعاتهم ، فتزيد من أعباء هؤلاء المكافحين ضد تلوث البيئة ، وقد اختاروا أن يلوثوا الهواء الذى يستنشقه كل الناس بأصواتهم الكريهة الحاقدة ٠

**ولكن الرئيس السادات بمبادرته للسلام ، ارتفع فوق هؤلاء الأقزام ، فحدد من عليائه لب المشكلة وجوهرها ، لقد رأى ذلك الحائط الذى يمنع كل الأطراف من أن يخطوا على أرض الحب والسلام ٠٠ أرض الرخاء والاخاء ٠٠ انه الحاجز النفسى ٠**

# الفصل الرابع

# الحاجز النفسى

# الحاجز النفسى

لعلنا من خلال عرض بعض ما كتب من آراء ودراسات اجتماعية ، وما نشر من بحوث نفسية ميدانية ، نستطيع أن ندرك بعض أبعاد حاجز الخوف والشك ، الذى يفصل بين اسرائيل والعرب ، لنعرف الى أى مدى كان هذا الحاجز النفسى ـ كما أسماه الرئيس السادات ـ يسبب ادراكا خاطئا متبادلا بين كلا الجانبين ، بما أفقد كليهما « الرخاء والأمن » على مدى ثلاثين عاما مضت ٠

## ١ ـ عاموس ايلون :

كتب المؤلف اليهودى « عاموس ايلون » ـ وهو من مواليد اسرائيل ـ فى كتابه « الاسرائيليون ـ بناة وأبناء » :

« ان أهم معالم الشخصية اليهودية : الخوف ٠ ففى داخل كل يهودى خوف لا حدود له ٠ خوف لا يعرفه أحد فى العالم كله ٠ وسبب هذا الخوف يرجع الى البيئة التى عاش فيها ٠ فالذين ولدوا فى اسرائيل ، ولدوا فى ثكنة عسكرية مهددة بالموت فى أية لحظة ٠ ولم يمض يوم واحد منذ أكثر من ٢٥ عاما لم يمت فيه يهودى برصاص العرب ٠ ولا يوم واحد ؟؟ .

وقد يتوقف الأجنبى أمام بعض الأعمـال العنيفـة أو حتى البطولية التى يقوم بها الجنود اليهود · ولكن السبب الحقيقى هو الخوف ، فخوفه الدائم يدفعه الى الاعتداء · أو الى الجنون في الاعتداء · أو الى تأكيـد الذات · وفي استطاعتك ان تراقب طفلا صغيرا خائفا · انه يجرى بقوة ويصرخ بقوة وبقفز الحواجز ويدوس النـار والزجاج المكســور حافي القدمين · انه ليس شجاعا · ولكنه جنون الخوف !

بل ان النشاط الدائم عند اليهود ليس له الا سبب واحد : الخوف · ان الخوف يعزله عن العالم لأنه يخاف · ولأنه يشعر أنه غريب بينما النـاس كلهم فى حالة أمن · هذا الشـعور بالغربة والغرابة يضايقه · ولذلك يبحث عن شيء يستغرقه تماما لعله ينسي ·

والكتب والروايات والمسرحيات التي تتحـدث عن هذه النزعات الموجعة لليهود لا حد لها · وكلها تروى هذا التمزق الفظيع فى تكوينه النفسى » ·

ولعل ما كتبته الأديبة « **يائيل ديان** » ابنة موشى ديان فى روايتها المشهورة « طوبى للخائفين » ما يؤيد أقوال «عاموس ايلون»، فقد وصفت حالة يهود المستعمرات هكذا : «ان الشبان يخجلون من خجلهم ، ويخافون من خوفهم · يخافون من الحب . ويخافون من احساسهم بالضعف · بل ان الأمهات يندمن على أنهن يهوديات · فكل طفل وكل شـاب وكل امرأة يجب أن

يحمى نفسه من مشاعره ٠٠ أن يقاومها أن يقضى عليها ٠ ألا يشعر باحتياجه الى شيء ٠ أو الى أحد من الناس ٠ يجب أن يشعر الانسان بأنه أصم ٠ بلا مسام ٠ وأن لديه مناعة ضد كل ما يهز أعصابه ٠٠ ولكن شعورا واحدا قويا يجب أن يبقى وأن يقوى : شعور الشبان نحو المستعمرة ونحو الوطن ٠ فالمستعمرة فوق كل فرد ٠ والوطن فوق كل المستعمرات وكل دين وكل عقيدة » ٠

## ٢ ـ موشى ديان :

فى تصريح صحفى له فى يناير سنة ١٩٦٨ تحدث « موشى ديان » عن « **الشخصية العربية** » التى يسودها ـ فى نظره ـ التعلق بالأوهام قائلا :

« ان العرب يعيشون فى عالم غير حقيقى ، وهم يفعلون ذلك غالبا مثلهم كمثل الشخص الذى يحتاج الى الحشيش حتى يحس أنه يعيش فى جنة عدن ، فالحقيقة بالنسبة لهم هى الجحيم ! والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب التى تعطى لهم الاحساس بالجنة ٠ وغالبا ما يبدو لى أن كل العرب ـ وعلى كافة المستويات ـ يتصرفون وكأنهم تحت تأثير المخدر ٠ والحقيقة أن الوهم أسوأ من الكذب ٠ فأنت قد تكذب عامدا وتسيطر على كذبتك ، أما بالنسبة للوهم فهو الذى يسيطر عليك فى النهاية ٠

ان العقلية العربية لا تشغل فكرى كمشكلة سيكلوجية ، انها تفسر لى لماذا لا يريد العرب الحرب ، وفى الحقيقة كان من المنطقى عقب نهاية حرب الايام الستة ، حينما اكتشف العرب أننا قابعون على ضفاف نهر الاردن وقناة السويس ، أن يتجهوا الى المفاوضة(١) ولكن ــ وبعد مرور عام كامل ــ لم يحدث شيء • ليس ذلك بسبب أن الحقيقة لا تثقل كاهلهم، ولكن لأن عقليتهم تقف وكأنها حاجز بينهم وبين الواقع ، وتمنع عيونهم من أن تراه كما هو • انهم يفضلون تجاهل الواقع ، ما دامت المفاهيم الخيالية التى يعيشون على هديها لم تتحطم بعد •

### ٣ ــ دانيل هيرادفستيت :

فى مارس سنة ١٩٧٢ أجرى الباحث «دانيل هيرادفستيت» سلسلة مقابلات مع مجموعة من أعضاء الصفوة الاسرائيلية بلغ عددهم ٣٤ شملوا عددا من رجال أحزاب بارزين وكبار موظفين فى وزارة الخارجية الاسرائيلية وأساتذة جامعيون • وقد أجرى الباحث تحليلا كيفيا لاجابات عينة البحث هذه ــ حول موضوعات متعددة تدور حول الصراع العربى الاسرائيلى وتعرضوا من خلال اجاباتهم الى تصورهم للشخصية العربية ، ويتركز فيما يلى :

---

( ١ ) كانت المفاوضة بعد هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ تعد استسلاما ، أما بعد انتصارهم فى أكتوبر ١٩٧٣ فالأمر يختلف •

## ( أ ) العدوانية :

تتسم الشخصية العربية أولا ــ فى نظرهم ــ بعدوانية أصيلة عكست نفسها على الصراع العربى الاسرائيلى • فهم يعتقدون أنه اذا كان العرب لم ينجحوا حتى الآن فى تصفية دولة اسرائيل ، فان ذلك ليس بسبب عدم توافر قصدهم ، ولكن لانهم لم ينجحوا فى ذلك ، كما أن قادة العرب ليسوا مخلصين اطلاقا فى السعى نحو السلام •

ويردون هذه العدوانية الاصيلة فى الشخصية العربية الى الاسلام الذى نادى بسمو المسلمين على غيرهم ، بالاضافة الى أنه دين له نزعة حربية •

## ( ب ) الانفعالية :

ان مشكلة العرب الرئيسية هى عدم قدرتهم على قبول دولة اسرائيل ، وسبب هذا الرفض هو اتجاه العرب الانفعالى اللاعقلانى وخصوصا فيما يتعلق باتجاههم ازاء اسرائيل ، وهذه الانفعالية ترد ــ فى نظرهم ــ الى « ضعف حضارى » • والعالم العربى ــ فى نظرهم ــ يعانى من « أزمة هوية » Identity Crisis أدت الى شعور العرب بالاحباط الذى عكس نفسه على الاهتمام المفرط باسرائيل • ويرون أن العرب قد تخفف درجة انفعاليتهم ، ولكن ضعفهم الحضارى سيستمر فترة طويلة •

## ( جـ ) الشعور الحاد بالاحباط :

ان فشل العرب فى عمليات تحديث مجتمعاتهم ، قد عكس نفسه فى صورة شعور حاد بالاحباط خصوصا حينما يقارنون بين ما حققوه وانجازات اسرائيل · ويعتبر ذلك فى حد ذاته ضد مصلحة اسرائيل لانه يؤدى الى شحن العرب بطاقات عدوانية موجهة ضد اسرائيل ·

## ٤ ـ هاركابى :

انتهى العالم الاجتماعى « هاركابى » فى دراسة نظرية له عن أسباب « انهيار العرب فى حرب الستة أيام » الى أن سبب هزيمة العرب يرجع أساسا الى عاملين هما : **الفردية** من ناحية ، **واتجاه العرب ازاء الحقيقة والواقع** من ناحية أخرى ·

وحين تحدث عن العامل الاول « الفردية » قال ان « الاشتراكية العربية » لم تخلق الوعى بالحاجة الى العمل فى سبيل الصالح العام · ان غياب الوعى السياسى والصعوبات القائمة أمام جعل « الاتحاد الاشتراكى العربى » مؤسسة سياسية فعالة ، ناجمة ــ فى جزء كبير منها ــ الى الاحساس بأن كل فرد عليه أن يحارب معركته فى الحياة بمفرده ، وذلك نتيجة لتفتت المجتمع ، وضعف الصلات بين أفراده ·

ويرى هاركابى أن هذه السمة لا تظهر عند العربى فقط باعتباره فردا ما دام يمتلك نفس القدرات والمواهب التى

يمتلكها غيره من الناس ، ولكنهـا ترد الى ضعف جمـاعى أو حضـارى Collective or Cultural Weakness ضارب بجذوره فى أرضية العلاقة بين الفرد تجاه مواطنيه وتجاه مجتمعه ·

وحين تناول السبب الثانى فىهزيمة العرب « اتجاه العرب ازاء الحقيقة والواقع » بدأ تحليله بابداء دهشـته من كثرة استخدام الكذب والتزييف فى حياة العرب العامة · فزعمـاء العرب ــ فى نظره ــ كثيرا ما يصدرون أقوالا كاذبة مما يؤدى الى تضليل شعوبهم . ويقرر هاركابى فى تحليله أن **الكذب هو وليد العداوة بين الناس** · فسيادة الكذب بين العـرب يمكن أن يرد الى العداوة بينهم · فكلما كان الفرد قريبا من الآخر كلما تحرج من أن يكذب عليه ·

## ٥ ــ صنـوع :

يؤيد عـالم النفس الامريكى اليهودى الدكتـور فيكتور صنوع(١) ما توصل اليه الدكتـور هاركابى من دراسـته النظرية ، ولكن من خلال حصيلته لنتائج **الاختبارات النفسية التى طبقت على أسرى الحرب المصريين** ، ويؤكد أن جوهـر

---

( ١ ) دكتور فكتور صنوع هو أستاذ علم النفس فى كلية مدينـة نيويورك ، ورئيس المجلس الدولى لعلماء النفس ، الذى عقد أول اجتماع له خارج الولايات المتحدة الأمريكية فى سبتمبر ١٩٧٠ فى جامعة بارايلان باسرائيل · والدكتور صنوع يهودى مصرى الأصل ، ومن الواضح أنه صهيونى متعصب ·

المشكلة يتمثل فى اتجاه العرب ازاء الواقع ، وتسامحهم ازاء الكذب ، وميلهم الى المبالغة • ويرجع صنوع الى أبحاث الباحث الانثروبولوجى « **حامد عمار** » فى بحثه المعروف عن « التنشئة الاجتماعية فى قرية مصرية » التى تفسر نتائجه بعض الانماط السلوكية على ضوء دراسة أساليب تربية الاطفال فى قرية مصرية ، وتوجد بين هذه الاساليب طريقة لفرض الطاعة من خلال تخويف الأطفال من كائنات خرافية ، فالغول مثلا يصور باعتباره وحشا ضخما غزير الشعر يفترس الاطفال المشاغبين • ويشير صنوع الى أن حامد عمار فى بحثه يذكر أنه تحدث مع عديد من الاطفال فى قرية فى الدلتا وأكدوا له أنهم فعلا سبق لهم رؤية الغول ! والطفل لكى يهرب من العقوبة يبتكر حيلة لكى يكذب • ويقتبس من عمار قوله : « ان آثار هذه التكيفات الخاصة بالخوف واجبار الاطفال على اللجوء الى الاكاذيب والخداع ، ينعكس مؤخرا فى حياتهم حينما يشبون عن الطوق ويصبحون رجالا راشدين ، يسود حياتهم الشك ، والتكتم والخوف » •

## ٦ ــ شاؤول فريد لاندر :

لم يختلف البروفيسور الاسرائيلى « شاؤول فريد لاندر » عن النتائج التى انتهى اليها كل من هاركابى وصنوع الا فى عدد من التساؤلات والتحليلات الذكية التى عرض لها فى كتابه « تأملات حول مستقبل اسرائيل » والذى صدر فى عام

١٩٦٩ • ومنها : « لنفترض قيام العرب بشن حرب على اسرائيل ، عن طريق توجيه هجوم مفاجيء دون أى استفزاز من جانب اسرائيل وعدم تدخل الاتحاد السوفييتى مباشرة ، فماذا يمكن أن تكون نتيجة المعركة ؟ » !!

وبعد ما اعتمد على هاركابى فى الاشارة الى نقاط الضعف الكامنة فى صميم المجتمع العربى ، والتى تعتبر من أسباب هزيمة العرب ، طرح السؤال الهام التالي :

« هل تعتبر نقاط الضعف هذه ملازمة حقا للمجتمع العربى وتقاليده الثقافية واتجاهاته السيكلوجية العميقة ، أم أن الامر يتعلق **بظاهرة عارضة يمكن أن تختفى نتيجة لثورة اجتماعية حقيقية ؟ » !!**

ويواصل فريد لاندر : « وفيما يتعلق بى ، فانى أشك فى أن يكون القصور العربى متأصلا فى تكوينهم ، ويبدو لى أن من شأن تغيير المجتمع جذريا القضاء عليه ، ولا شك فى أن مثل هذا التغيير لايقع بين يوم وليلة، ولكن اذا أمكن لاسرائيل أن تعتمد على الاجل القصير والمتوسط ، أى فى السنوات المقبلة على نقاط الضعف العربية آنفة الذكر ، فانه من الخطر أن تعتمد على ذلك لفترة أطول(١) » •

---

( ١ ) أثبتت حرب أكتوبر ومبادرة السلام أن القصور العربى كان ظاهرة عارضة ، وأن الرئيس السادات قد استطاع بايمانه وحكمته أن يقضى على سلبيات من سبقوه وأن يكشف بانتصاراته عن الوجه الحقيقى للعرب •

**٧ ــ روبنــز :**

غير أن حقيقة الافكار القومية النمطيــة التى صاغهـــا اليهود الاسرائيليون ازاء العرب قد كشفت عنها بعض البحوث التى قام بها باحثون أجــانب فى اسرائيل • ومن أبرز هــذه البحوث دراسة ميدانية قام بها « روبنز » ونشرها بعنوان : « الاتجاهات والأفكار النمطية ، وضروب التعصب بين العرب واليهود فى اسرائيل » ــ يقرر روبنز أن اليهود لم يعنوا كثيرا بالتفكير فى مشاكل العرب ــ وبحسب تعبيره : « ربما كان اتجاه اليهود الاسرائيليين السائد ازاء العرب هو **اللامبالاة** ، وهو اتجاه يفوق فى رسوخه اتجاه **الشك** فيهم •

ويقرر « روبنز » أنه حين يستفيد العرب فى اسرائيل من بعض التطورات الاقتصادية فان اليهود الاسرائيليين ينتظرون منهم أن يشعروا بالامتنان • **ان اليهود الاسرائيليين ينكرون على العرب ما اعتبروه هم الدافع المحرك لهجرتهم الى فلسطين، وهــو تحقيق الذات القوميــة** • كمــا أن غالبيــة اليهــود الاسرائيليين يؤيدون سياسات الحكومة الاسرائيلية الخاصــة بفرض القيود العنيفة على العرب ، بزعم أن اعتبارات أمن اسرائيل لها الأولوية على حقوق العرب الانسانية •

ومن ناحية أخرى ينكرون حقوق اللاجئين الفلسطينيين على أساس أن مشكلتهم ينبغى على الدول العربيــة أن تجــد حلا لها •

ويقرر « روبنز » ــ بمنتهى الوضوح ــ يبدو أن الدولة الاسرائيلية قد رعت ودعمت الاتجاهات بين السكان اليهود حتى لا يهتمــوا بالعــرب ولا بمشـــكلاتهم ، وحتى تصبح لا مبالاتهم بها اتجاها راسخا ٠

واليهــود الاسرائيليون مشغولون بأنفسهم ويركزون كل اهتماماتهم على مشكلاتهم ، وهم لذلك ــ نتيجة لجهود الدولة وأجهزتها الدائبة فى تدعيم **الوعى الزائف** لديهم ــ أصبحوا **عاجزين عن تقدير الموقف الحقيقى للعرب بصورة واقعية فهم ينظرون لاسرائيل باعتبارها يهودية ، أما العرب فهم الأجانب.**

ان اتجاهات الشك ازاء العرب تجد تبريرها عند اليهود الاسرائيليين فيما يطلقون عليه « **العقلية الشرقية** » ٠ وهذه هى النغمة الرئيســية التى ما أكثر ما ترددت فى الكتــابات الاسرائيلية عن الشخصية العربية ٠ والعقلية الشرقية تتسم فى نظر اليهود الاسرائيليين بملامح تتمثل فى : **عدم الصبر على التعليم ، الافتقار للطموح ، انعــدام الأخــلاق ، نظرة تقليدية ومحافظة للعالم ، وتركيز الاهتمام على الأسرة وليس على مصلحة البلد ٠**

## ٨ ــ الرأى العام الاسرائيلى :

أ ــ قام معهد « لويس هاريس » بقياس الرأى العام الاسرائيلى تجاه مسائل الحرب والسلام ، وذلك لحساب مجلة

التايمز ، ونشرت نتائجه فى العدد الصادر فى ١٢ أبريل سنة ١٩٧١ .

وقد وجه السؤال التالى الى الاسرائيليين اليهود :

| هل توافق على العبارة التالية ؟ | نعم | لا |
|---|---|---|
| ـ العرب أكثر كسلا من الاسرائيليين . | ٥٣٪ | ٣٦٪ |
| ـ العرب أقل ذكاء من الاسرائيليين . | ٧٤٪ | ١٩٪ |
| ـ يشعر العرب بحقد أعمى تجاه اسرائيل . | ٦٨٪ | ٢٦٪ |
| ـ العرب أشد قسوة من الاسرائيليين . | ٧٥٪ | ١٧٪ |
| ـ العرب ليسوا فى شجاعة الاسرائيليين . | ٨٠٪ | ١٢٪ |
| ـ العرب أقل أمانة من الاسرائيليين . | ٦٦٪ | ٢٠٪ |
| ـ العرب أدنى من الاسرائيليين | ٦٧٪ | ٢٣٪ |

وخلاصة النتائج السابقة تعنى أن العرب يتسمون ـ فى نظر الغالبية العظمى من الاسرائيليين اليهود الذين سئلوا فى هذا المقياس ـ بالسمات الآتية :

كسالى . ذكاؤهم منخفض . تملؤهم مشاعر الحقد تجاه اسرائيل . قساه . خونة . وجبناء .

ب ــ وقد قام معهــد « لويس هاريس » لحســاب مجلة التايمز باستفتاء مشابه ، وأذاعت نتائجه و.أ.ف/نيويورك .

ونجد فى هذا القياس النتائج التالية :

ــ ٢٣٪ من الاسرائيليين يشــعرون بالضيق من الجلوس جنبا الى جنب مع عربى فى مطعم ٠

ــ ٤٢٪ يشعرون بالضيق اذا استقرت أسرة عربية فى منزل مجاور ٠

ــ ٧٤٪ يشعرون بالضيق اذا شاهدوا أطفالهم يرتبطون بروابط وثيقة مع أطفال من العرب ٠

ــ ٨٤٪ يشعرون بالضيق اذا تزوج صديق أو قريب من عربية ٠

جـ ــ وفى استفتاء للرأى العام الاسرائيلى أجرته الصحافة الفرنســية ونشرت نتــائجه يوم ١٩٧١/٤/٦ بعنــوان : « المعتدون قلة فى اسرائيل » :

٩٦٪ من الاسرائيليين يرفضون مبــادلة الأراضى المحتلة بالسلام ٠

٧٢٪ يريدون الاحتفاظ بشرم الشيخ ٠

٣٦٪ يريدون الاحتفاظ بالجولان ٠

د ـ وقد أجرى معهد الأبحاث الاجتماعية التطبيقية ومعهد العلاقات العامة فى الجامعة العبرية قياسا حديثا للرأى العام الاسرائيلى ، حيث أجاب المشتركون ( ١٨٧ فردا ) عن رأيهم فى اقامة مستوطنات مدنية فى المناطق المحتلة كما يلى : ( المصدر : ن. م. د. ف ملحق العدد (٥) ، أول مارس ١٩٧٣ ) .

| أماكن المستوطنات | يؤيدون | يرفضون |
|---|---|---|
| ـ على امتداد غور الأردن . | ٩٠٪ | ١٠٪ |
| ـ فى مرتفعات الجولان . | ٩٦٪ | ٤٪ |
| ـ فى مشارف رفح وشمالى سيناء . | ٧٥٪ | ٢٥٪ |

**وهكذا يمكننا من تلك الدراسات والبحوث السابقة تكوين الملامح الأساسية للمفهوم الاسرائيلى عن الشخصية العربية كما يلى :**

**« العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ، ولذلك فاتباع سياسة الردع والعنف معهم هى الأسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون ، مفككون ، يميلون الى الكذب والمبالغة وخداع الذات . وهم بالمقارنة بالاسرائيليين كسالى وجبناء وخونة ، ومستوى ذكائهم منخفض ، وعلى الجملة أدنى من الاسرائيليين » .**

**فماذا يا ترى تكون الملامح الأساسية للمفهوم العربى عن الشخصية الاسرائيلية ؟**

### ٩ ـ أنيس منصور :

يعتبر الأستاذ « أنيس منصور » من أبرز الكتاب المصريين الذين اهتموا بدراسة الشخصية الاسرائيلية ، فضلا عن أنه كان أستاذا جامعيا للفلسفة • وقد عرض فى كتابه « الحائط والدموع » أبرز ملامح الشـخصية الاسرائيلية التى انتهى اليها ، ويقول :

« أهم صفات الرجل اليهودى هى أنه يريد أن يستقر •• وأن يهدأ •• فقد تعب من السفر من بلد الى بلد •• وقد تعب من الطرد من كل بلد •• ولذلك فهو شديد الخوف وسريع الفزع •• وكل يهودى يريد أن يكون مثل نوح : يعوم حتى لو غرقت الدنيـا كلها •• أو يغرق الدنيـا كلها ليعوم بعد ذلك •• ومن أهم صفات اليهود أيضا أنهم لا يتركون هيئة أو مذهبا لا يتسللون اليه ويتعصبون له كأنهم أصحابه •• أو ينسفونه من الداخل •• وفى الحالتين يحاول اليهود : أن يوجهوا كل شىء الى ناحيـة خاصـة تنفعهم ـ كل دين وكل مذهب •• » •

## ١٠ ـ د· قدرى حفنى :

يكاد ينفرد الدكتور « قدرى حفنى » باجراء دراسة سيكلوجية متكاملة لفهم الشخصية الاسرائيلية ، أو بشكل محدد بيان المكونات السيكلوجية للاشكنازيم الاسرائيليين(١) عن طريق فهم ودراسة عملية « التنشئة الاجتماعية » أو من خلال اعادة صياغة نتائج دراسات نفسية قام بها باحثون اسرائيليون وأجانب على المجتمع الاسرائيلى ·

وقد خلص د· قدرى فى كتابه « تجسيد الوهم » الى خاصيتين سيكلوجيتين ميزتا المناخ الذى تمت فيه تنشئة ذلك الجيل من الرواد من أولئك المهاجرين القدامى الذين قامت على أكتافهم دولة اسرائيل ، وهما : « **الشعور بالتمايز** » و « **الشعور بالاضطهاد** » ·

### أ ـ الشعور بالتمايز :

يستخدم المؤلف تعبير التمايز تاركا ـ عن عمد ـ استخدام تعبيرين آخرين هما « الامتياز » و « النقاء العنصرى » ،

---

( ١ ) اشكناز هو أحد أحفاد نوح · وهم اليهود الغربيون (حوالى ٨٥٪ من يهود العالم ، ٥٠٪ فى اسرائيل ) والصفوة المسيطرة على اسرائيل سياسيا وعسكريا · ويقابلهم اليهود الشرقيون « السفارديم » الذين ينتمون حضاريا وعرقيا الى العرب · وقد يحرص الاشكنازيم على اثارة الحروب فى المنطقة خوفا من السلام الذى قد يعمل على الاندماج الحضارى والتقارب الوجدانى بين السفارديم والعرب فيؤدى الى عزلتهم ·

ذلك على اعتبار أن التمايز لا يعنى دائما الامتياز كما هو الحال فى التمايز النازى ـ وهو يشير بذلك الى حقيقة سيكلوجية مؤداها أن هناك علاقة وثيقة تربط من الناحية السيكلوجية وخاصة فى سيكلوجية الأعماق ـ بين الاحساس « بالدونية » والاحساس « بالتفوق » ، بحيث يصعب على المرء أن يحدد طبيعة تلك العلاقة ، وما اذا كانت علاقة سبب بنتيجة أم علاقة شكل بمضمون أم هى علاقة تتال وتتابع زمنى ٠

ويناقش المؤلف وهو يستعرض الدراسات والبحوث السابقة فكرة النقاء العنصرى للجنس اليهودى ، ذلك الادعاء الذى فندته حتى الدراسات الغربية ، مبينا كيف أن هناك أفكارا أخرى بدأت تحل محل النقاء العنصرى ، منها مسألة التمايز العقلى والتمايز الجسمى والتمايز الانفعالى ، وكيف أن البحوث والدراسات فندت هذه الأفكار أيضا ٠

## ب ـ الشعور بالاضطهاد :

وفى المقابل لفكرة النقاء العنصرى نبعت فكرة أن اليهود « يُضطهدون » ٠ وفى ضوء حقيقة سيكلوجية معروفة ، وهى أن كل قضية ، أو فكرة ، تحمل نقيضها أو تحتوى عليه ، يفسر المؤلف هذا العنصر بأنه نتاج لفكرة أخرى مؤداها أن اليهود « سبب شرور العالم » ٠ كما يتعرض لفكرة الاضطهاد من الناحية التاريخية حتى عند صورة الاضطهاد النازى فى أعنف صوره ٠ ويقرر أنه حتى الآن ما يزال الفكر الصهيونى

مركزا على عنصر الاضطهاد حتى أصبح هـذا العنصر ضمن المكونات السيكلوجية الأساسية فى عملية التنشئة الاجتماعية.

ويؤكد هذا العنصر ما كتبه الأستاذ أنيس منصور فى كتابه « الصابرا » :

« .. وفى اسرائيل مقابر كثيرة وكلها تاريخية . وكلها يجب الوقوف عندها . ولا بد من البكاء . وفى أعياد اسرائيل المقدسة أيام للبكاء .. وفى مثل هذه الذكريات يذهب طلبة المدارس الى المقابر . وقبل أن يذهبـوا لا بد أن يشرح لهم المدرسون كيف كانت السجون ومعسكرات الاعتقال .. انهم كانوا يسجنون اليهود كالبهائم ليذبحها الجزار ؟

ويتساءل الأطفال : اليهود فقط !

ويقال لهم : نعم اليهود فقط .

ويتساءل الأطفال : ولكن لماذا لـَم !

ويكون الرد : فى ذلك الوقت لم تكن لنا دولة ولا جيش . ومن أجل ذلك أصبح لنا جيش لكى ننتقم من كل الناس .

ويبقى عند الأطفال ، ولا يزال عند الكبار ، هذا الشعور بالخجل ــ هذا الشعور بالعار .

وقد خلصت دراســـات د· قدرى حفنى عن المـكونات السيكلوجية للأشكنازيم وهى ــ كما يقـول ــ السيكلوجية التى تسود التجمع الاسرائيلى ، حيث هم ( وليس السفارديم ) مؤسسوا الدولة الاسرائيلية ويحتلون المناصب الرئيسية فى الجيش الاسرائيلى ، فضلا عن أنهم يمثلون ــ خارج اسرائيل ــ مخزون الهجرة المستقبلية لها ، كما أن الأشكنازيم هم أصحاب الكيبوتزات الاسرائيليـة · **هـذه الخصـائص السـيكلوجية الأساسية التى تشكل فى تفاعلها ما أطلق عليه شخصية الجماعة الاشكنازية الاسرائيلية هى :**

**العدوانية ، الانطوائية ، التمركز حول الذات ، التشاؤم ، التشكك ، الجمود ، اللاانفعالية ·**

ويقول د· قدرى حفنى أن تلك الخصـائص السيكلوجية للاشكنازيم الاسرائيليين تتسق اتسـاقا تاما مع الخصـائص الايديولوجية للفكر الصهيونى وما يتميز به من ميل للعنف وحض عليه ، وما يروج له من دعاوى استعادة أرض الميعاد ، وتحقيق رسالة شعب الله المختار ، وما الى ذلك · بل ان تلك الخصائص السيكلوجية تكاد تكون ترجمة سيكلوجية مباشرة للمناخ الذى كان يسود « الجيتو » اليهودى الأوروبى حيث تتضخم الى أقصى حد مشاعر الاحساس بالاضطهاد و بالتمايز ·

**من كل هذه الدراسات الســابقة ، يتضح جليا التشــابه الكبير ، الذى يصل الى حد التطابق ، بين ادراك كلا الجانبين ــ الاسرائيلى والعربى ــ للآخر • ويمكن لنـــا أن نرد تلك الصفات المختلفــة ، التى حاول كل طرف أن يثبتها كسمات أصيلة فى شخصية الآخر ، الى أصل واحد هو : العدوانيــة ( سواء الكذب والغباء والجبن والتخلف فى الشخصية العربية، أو التشــاؤم والانطــواء والجمود والأنانية فى الشــخصية الاسرائيلية ) • هذه العدوانية جعلت كل طرف لا يدرك من الطرف المقابل سوى صفات بغيضة ، ويعمى عن أى سمات حميدة ، ويشترك فى ذلك العلماء وغير المتخصصين •**

وعلى ضــوء فكرة **انتقائيــة الادراك** وهى من الأفــكار الكلاسيكية فى علم النفس ، فقد أصبح من المسلم به أن الانسان لا يدرك كل ما يقع على حواسه من مؤثرات ، بل انه لينتقى منها أشياء ويترك أخرى • ونستطيع القول ــ تبسيطا ــ أن الانسان يدرك ما يريد أن يدركه ويرفض أو بالأحرى يعجز عن ادراك مالا يود ادراكه • ذلك هو شأن البشر جميعا رغم تفاوت درجات انتقائيتهم هذه ، من فرد الى آخر ، ومن موقف الى آخر •

ولعل ميكانيزم « **الاسقاط** » Projection الذى كشفه العالم اليهودى الشهير « **فرويد** » يساعد على تفسير هــذا الادراك الخاطىء المتبادل •

فقد ذهب « فرويد » الى أن الاسقاط هو أحـد العمليات الدفاعية التي يعزو فيها الفرد دوافعه واحساساته ومشاعره الى الآخرين أو الى العالم الخارجى • ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص منها « الأنا » Ego من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتى ان بقيت ـ سببت الألم للأنا • وقد أوضح « فرويد » هذه العملية الدفاعية فى سياق حديثه عن احدى حالات « البارانويا » ( الاحساس بالاضطهاد بشكل مرضى ) الشهيرة بحالة « شربر » •

**وليس بمستبعد اذن ، ازاء أحد الاسرائيليين ، أن يعمل ميكانيزم « الاسقاط » على النحو التالى :**

**ـ أنا أحب العربى :**

فقد كان على مر التاريخ هو الأكثر تسامحا مع اليهودى ، ودينه يدعوه الى حسن المعاملة مع اخوانه من أهل الكتاب ، كما أنى عشت فى مصر أحلى أيامى •

ولكن هذا الحب الذى يتحدث به قلبى حرام على •

ومن ثم تبدأ عملية دفاعية آخرى كشفها « فرويد » تسمى « التكوين العكسى » Reaction Formation وذلك تحت ضغط « الأنا الأعلى » Super Ego ( الضمير ) فتحول : « أنا أحب العربى » الى :

**ـ أنا أكره العربى :**

غير أن هذه الكراهية أو العدوانية دافع غير مقبول كذلك فيتم كبته .

ولكن هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلا نهائيا للموقف ، اذ لا يؤدى الى حماية « الأنا » تماما . ولذلك فلكى تتخلص « الأنا » من هذه الدوافع العدوانية فانها تقوم باسقاطها على الشخص الآخر ( العربى ) .

**ـ العربى يكرهنى :**

ولذلك فهو عدوانى ويسعى الى قتلى والقائى فى البحر .

**ـ اذن أنا أكره العربى لأن العربى يكرهنى .**

وهى كراهية مشروعة اذن ..

ولذلك فعلى أن أقتله قبل أن يقتلنى .

**كما أنه ليس بمستبعد أيضا ، ازاء أحد العرب ، أن يعمل ميكانيزم « الاسقاط » على النحو التالى :**

**ـ أنا معجب بالاسرائيلى :**

فهو حتى اذا كان مغتصبا لمساحة من الأرض أقام عليها دولته ، بعد ذلك الشتات والضياع والاضطهاد على مدى

التــاريخ ، الا انه نجح فى فترة وجــيزة أن يحقق تقـــدما تكنولوجيا كبيرا فى مجالات متعددة ، كما أن اسرائيل ذات العدد المحدود قد انتصرت أكثر من مرة على العرب وهم كثرة ٠

ولكن هذا الاعجاب الذى يحدثني به قلبى حرام على ٠

ومن ثم يحدث « التكوين العكسى » :

**ـ أنا أكره الاسرائيلى :**

ثم يحدث « الاسقاط » ٠٠

**ـ الاسرائيلى يكرهنى :**

وقد اغتصب أرضى وقتل أهلى ، وأطماعه لا تقف عند حد ، فهو دائما يطلب المزيد من الأرض ويسعى لمزيد من القتل ٠

**ـ اذن أنا أكره الاسرائيلى لأن الاسرائيلى يكرهنى :**

وهى كراهية مشروعة اذن ٠٠

ولذلك فعلى أن أقتله قبل أن يقتلنى ٠

**وقد أكد « فرويد » أن ميكانيزم « الاسقاط » مثل باقى الحيل الدفاعية الأخرى يعمل على مستوى « اللاشعور »(١) ، أى**

---

( ١ ) أنظر لنفس الباحث . علم النفس فى المخابرات العامة ـ ٦ أكتوبر ١٩٧٦ ـ الفصل الثانى ٠

**أن الفرد لا يعى اطلاقا ذلك التغيير من : « أنا أحب » الى : « أنا أكره » ، وانما فقط يجد نفسه يكره ، ويعادى ، ويقتل.**

**ما هى النتيجة الحتمية لارتفاع هذا الحاجز النفسى الرهيب ؟**

**الحرب ٠٠**

كانت الحرب المستمرة بين اسرائيل والعرب هى النتيجة الطبيعية لتبادل الكراهية والشك فيما بينهما طيلة هذه السنين ٠ هذه العدوانية المستمرة كان لها دائما استجابة واحدة هى : الحرب ٠ كما أن الحرب بدورها تؤدى الى مزيد من العدوانية التى تفتح بدورها الطريق لحرب جديدة ٠٠ وهكذا ٠ لقد ضاع من كلا الجانبين كثير وكثير من الضحايا فى أحلى سنى العمر ، كما ضاع كثير وكثير من الرخاء والأمن ، وهما يتأرجحان بين هذين القطبين :

**العدوانية** ⇄ **الحرب**

ومن هنا نشأت نظرية الأمن الاسرائيلى كرد فعل لهذه السيكلوجية الضارة ٠ وآمن الاسرائيليون بأن أمنهم لن يتحقق الا داخل الدولة اليهودية ، أى أن فكرة الأمن طرحت بشكل يربط أمن الدولة الصهيونية بأمن الانسان الاسرائيلى وبالعكس ( وقد ساعد على تعميق هذه الفكرة عدم وجود

برنامج عربى يطرح قضية أمن الاسرائيليين كتجمع بشرى منفصلا عن أمن الدولة ) • ويؤكد فكرة الأمن هذه ، ما صرح به « موشى ديان »(١) : « اننا الآن •• وبعد حرب الأيام الستة •• نرابط على قناة السويس ، وفوق الجولان ، ووادى عربة ، ونهر الأردن ، للمحافظة على أمن اسرائيل » •

لقد كانت انتصارات اسرائيل فى حروبها ضد العرب ( باستثناء حرب أكتوبر ) ، تعد من وجهة نظر سيكلوجية ، من قبيل سوء الحظ للقضية المطروحة • فلقد ساعدت على تثبيت تلك الدورة المغلقة بين العدوانية والحرب ، وذلك على الأقل فى نظر دعاة نظرية الأمن الاسرائيلى وأغلبهم من الجيل الرواد الذين نشأت اسرائيل على أكتافهم • ومن ثم فان نصر اسرائيل فى حروب : ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كان بمثابة العامل المثبت الذى أبطل تأثير عاملا مضادا آخر ، كان يكفى لهدم نظرية الأمن الاسرائيلى ، وهو احساس الفرد الاسرائيلى بالتهديد الدائم ، وافتقاره للشعور بالأمن الحقيقى الداخلى •

فلقد كان لزاما عليه وهو يزرع الأرض بيده أن يحمل البندقية على كتفه ، كما كان عليه وهو يسامر زوجته وأولاده أن ينصت بخوف الى الراديو مترقبا نداء الاستدعاء للحرب •

ولقد أثبت النصر الحاسم لاسرائيل كدولة فى يونيو ١٩٦٧ أنه ليس بقادر على تحقيق الأمن للفرد الاسرائيلى !

---

( ١ ) ى• ب• ١٩٦٩/٩/٩ •

اذ أن العدوانية المتولدة من الحرب ، كفيلة بأن تؤرق الطرف المهزوم ، فيعمل دوما على جمع شتاته وقوته ، كي ينتقم ٠ كما أن حذر المنتصر سوف يسرق منه احساسه بالأمن ، ويطفىء رويدا رويدا نشوة النصر ٠

ولقد وصفت التسجيلات الصوتية لأبناء المستعمرات الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ ، التى نشرها «عاموس ايلون» ، هذه الحالة النفسية التى تشير الى خيبة الأمل التى أصابت الإسرائيليين ، فبعض هذه التسجيلات يقول :

ــ لقد كنا نمشى فى الشوارع والناس يصفقون لنا ٠ ولكننا كنا أكثر حزنا ٠ ولا نعرف لماذا هؤلاء سعداء !

ــ قالوا فى سنة ١٩٥٦ أن هذه هى آخر حرب ــ وجاءت حرب سنة ١٩٦٧ ٠ هل نمضى العمر كله فى الرمال فقط ونتغذى على الكراهية والحقد والبكاء ٠ ألا توجد فى الدنيا عواطف أخرى ٠

ويقول « موشى ديان » فى مذكراته عن سنة ١٩٥٦ أنه فوجىء بشىء عجيب ٠ لقد سمع أن عددا من الضباط يشتغلون بتحضير الأرواح فى الجبهة ٠ وأن تحضير الأرواح عن طريق السلة ٠ يقول : « ولم أصدق ما سمعت ٠ وذهبت لأرى ٠ ولم أصدق ما رأيت ٠ وسألت هؤلاء الضباط المثقفين الممتازين :

كيف هذا ؟ !

فقالوا جميعا فى نفس واحد :

لو عشت مثلنا هنا على خطوط النار سنوات طويلة ورأيت كيف يختفى أعز أصدقائنا واحدا بعد واحد ·· وتختفى معهم كل المعانى الجميلة فى الحياة لأحسست أن الحياة لا معنى لها الا معهم ·· ولذلك فنحن نستحضر أرواحهم كل ليلة ·· لنشعر بشىء من الحياة الاجتماعية وسط هذه الرمال الموحشة » ·

# الفصل الخامس

# الحرب و السلام

# الحرب والسلام

اذا كان قرار السادات بحرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قد حقق لمصر وللعرب عبورا منتصرا بالجسد ·· فان مبادرة السادات للســـلام فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ حققت لمصر وللعرب وللعالم عبورا شجاعا بالنفس ··

انه بوحدة الجسد والنفس ·· بعبور أكتوبر ·· وعبور نوفمبر ·· اكتملت وحــدة العبور العظيم من أجواء الحرب والشك الى أرجاء السلام والأمن ·

## ٦ أكتوبر المجيد :

فى هذا اليوم العظيم انتصرت مصر ومعها كل العرب ·· لأول مرة ، وهزمت اسرائيل .. لأول مرة · فكانت صدمة .. أعادت عزة العرب · صدمة كسرت غرور اسرائيل · كشف العربى عن قوته الكامنة ، وتشكك الاسرائيلى فى أســطورة تفوقه · ارتفع المغبون الى أعلى ·· فاكتشف أنه ليس قاصرا أو ضعيفا · وسقط المغرور الى أسفل ·· فادرك أنه ليس مختارا أو موعودا · تقدم المسلوب ولم تمنعه حصونهم المتينة · وتراجع الغاصب ولم تحميه حدوده الجديدة · تقابل الصاعد

مع الهابط على أرض الحقيقة · وعرف الاثنان ــ الاسرائيلى والعربى ــ أن قضية النصر أو الهزيمة في صراعهما المستمر، ليست مرهونة بسمات أصيلة فى شخصية كل طرف ، فالانسان هو الانسان فى كل مكان ·· ومن ثم فالنصر أو الهزيمة فى الصراع العربى الاسرائيلى موقفــان يمكن أن يتبادلهما كل طرف على السواء ·

ان الكلمات التالية للسيد الرئيس أنور السادات ، تؤكد الدروس العميقة والمعانى الانسانية التى تحققت فى هــذا اليوم العظيم ·

**« لم يكن السادس من أكتوبر ، مجرد انتصار ســلاح على سلاح ، ولم يكن مجرد تفوق جيش على جيش ، لقد كان نصر أكتوبر وسيبقى رمزا لما هو أعمق من ذلك بكثير وأبعد تأثيرا على مسار التاريخ المعاصر » ·**

**« كان كسرا لغرور القوة ، وكان اسقاطا لأسطورة تفوق الانسان على الانسان ، وكان تأكيدا لما يمكن أن تصنعه ارادة الكرامة والعدل ، وترسيخا لقيمة ممارسة الحق والديمقراطية، وتجسيدا لما يمكن أن تؤدى اليه الوحدة الوطنية ، والالتفاف الجماهيرى حول الأهداف القومية » ·**

**« وكان نصر أكتوبر أيضا وسيظل ، درسا أدرك منه العالم أن السلاح بالانسان وليس الانسان بالسلاح » ·**

كانت نتـــائج هــذه الحرب المجيــدة ـ على المســـتوى السيكلوجي ـ على عكس نتائج الحروب السابقة عليها • فبينما كانت تلك الحروب المتوالية تساعد على تثبيت الدائرة المغلقة التي قدمنا : العدوانية $\rightleftarrows$ الحرب ، فان حرب رمضان ـ أكتوبر ، هي التي مهدت السبيل لكسر هذه الدائرة الضارة لكل أطراف الصراع •

لقد كان لا بد للجانب الذى ذاق الهزيمة على مدى ربع قرن ـ فاختزن طاقات عدوانية متراكمة ـ كان لا بد له أن يذوق طعم النصر •

**ان حرب أكتوبر قد ساعدت على اقامة توازن سيكلوجى كان ضروريا لكلا الجانبين ـ اسرائيل والعرب •**

**هذا التوازن السيكلوجى تحقق كما يلى :**

— ان انتصار العرب وفى مقدمتهم « مصر » فى ٦ أكتوبر ، ساعد على تفريغ تلك الطاقات العدوانية المتراكمة ، ومن ثم أحــدث خللا سيكلوجيا كبيرا لأحــد أطراف المعــادلة الضــارة : العــدوانية $\rightleftarrows$ الحرب • وهذا ما عبر عنه الرئيس السادات بقوله : أن جيل أكتوبر قد صار ـ بعد أن انتقم وانتصر فى ١٠ رمضان ـ يخلو من أية عقــد نفســية ، ولذلك فهو الآن يخطو نحــو الســلام فى ثقة واتزان •

- ان نجاح جيش اسرائيل فى احداث ما سمى « بالثغرة » فى خط المواجهة المصرى شرق وغرب قناة السويس ، كان عاملا مساعدا كبيرا فى اقامة هذا التوازن السيكلوجى • ان ايقاف المعارك على مسرح القتال على تلك الصورة ، حيث جيش مصر قد حقق الانتصار فى ارجاع القوات الاسرائيلية عبر تلك الموانع الرهيبة ( قناة السويس ، السد الترابى ، خط بارليف ) ، وحيث جيش اسرائيل قد حقق نجاحا ( فى هجومه المضاد ) عبر تلك الثغرة الضيقة ، ان ايقاف المعارك على هذه الأوضاع مكن كل طرف من أن يجد المبرر الكافى لتحقيق الرضاء السيكلوجى المطلوب • فالجانب الاسرائيلى ادعى « أنه لو كان القتال قد استمر لكان من الممكن تطوير هذا النجاح » • والجانب المصرى العربى أوضح أنه « لو كان القتال قد استمر لقضى بسهولة على القوات الاسرائيلية فى الثغرة » •

ان الدعاية الخادعة التى أقامتها اسرائيل لهذه الثغرة ، والتى حجبت حجمها الحقيقى ، قد حققت أثرا كبيرا فى اقامة هذا التوازن النفسى لدى الشعب الاسرائيلى • اذ أن العدوانية التى تم تفريغها من الجانب المصرى العربى من خلال الانتصار ، لم يتم ازاحتها ونقلها كلها كى تضاف الى رصيد العدوانية فى الجانب الاسرائيلى ، ومن ثم تدفع

بدورها الى حرب جديدة من أجل الانتقـام · لقد ولدت هذه الثغرة مبررا سيكلوجيا اسرائيليا يقاوم هذه العدوانية الجديدة ، خاصة اذا ما استند هذا المبرر على رصيد الانتصارات السابقة لاسرائيل ·

- ان نقص الطاقة العدوانيـة من كلا الطرفين ( العـرب بالتفريغ ، واسرائيل بالمبرر ) استتبعه بالضرورة نقص الدافع لحرب جديدة ، خاصة اذا ما أدخلنـا فى حساباتنا المصاعب الاقتصادية لدى كل منهما ، والرغبة الملحة فى انهاء حالة الحرب أملا فى تحقيق الأمن والرخاء ·

- ان حرب أكتوبر قد أثبتت خطأ نظرية الأمن الاسرائيلى ، ولم تكن قناة السويس والجولان ، حدودا آمنة لاسرائيل كما قرر « ديان » · لقد أظهرت بوضوح أن أمن الفرد الاسرائيلى منفصـلا ـ الى حـد كبير ـ عن أمن الدولة الاسرائيلية اذا ما قيس هذا الأمن بأبعاد جغرافية فقط ·

**ان أمن الفرد الاسرائيلى هو مسألة سيكلوجية بحتة ، ومن ثم لا بد من البحث عن حدود سيكلوجية آمنة ، بدلا من السعى وراء حدود جغرافية مهددة ·**

**ان السلام هو الذى يرسم للجميع ـ اسرائيل والعرب ـ هذه الحدود السيكلوجية الآمنة ·· وهو البديل الوحيد لتلك الدائرة الضارة :**

العدوانية ⇄ الحرب

لتحل محلها هذه الدائرة المفيدة :

السـلام ⇄ الرخاء

ان السلام سوف يؤدى الى تعـاون كل الأطراف لتحقيق الرخاء لجميع دول المنطقة . كما أن هذا الرخاء سوف ينبت بدوره بذورا جديدة للحب والأمان .

## مبـادرة السـلام :

الله هو السلام .. والايمان هو الطريق .. أما العلم فهو الخطوات التى تسير .. وما كانت مبادرة السادات الا الخطوة الأولى على هذا الطريق الأمين . ان السلام هو منهج السادات وهدفه ، والنسيج الذى يشكل شخصيته . ولعل حرصه على أن يمضى عيد ميلاده فى قريته « ميت أبو الكوم » ، ليكون مع تسابيح الطيـور على الزرع الأخضر ، يدل على رغبتـه الفطرية فى أن يبتعد عن شوائب المدنية التى صنعها الانسان ، كى يعيش مع صفاء الطبيعة التى خلقها الرحمن . أن يستبدل الضجيج بالهدوء .. والصراع بالسلام .

والحرب هى أبغض الحلال ، وقد شرعها الله فقط كى تكون الوسيلة الأخيرة لتحقيق السلام العادل • وهكذا أراد السادات لحرب رمضان •• أن تكون مقدمة لمبادرة السلام •• أن تكون آخر الحروب فى المنطقة •

ولقد سبقت هذه الحرب المجيدة محاولات جادة للسلام • فقد أعلن الرئيس السادات فى ٤ فبراير ١٩٧١ أنه مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، وكان هذا هو أول اعلان يصدر من مسئول عربى منذ أن بدأ الصراع العربى الاسرائيلى • كما أنه ــ وهو فى قمة الانتصار ــ أعلن فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب المصرى الدعوة الى مؤتمر دولى يتقرر فيه السلام العادل الدائم •

ان السلام هو الهدف الحقيقى لحرب أكتوبر ، كما أن مبادرة السادات هى الوسيلة لتحقيق هذا الهدف المأمول ، وبدونها يظل انتصار أكتوبر متوقفا خلف حائط الشك والخوف •• سبب كل الحروب والعدوان •• ذلك الحاجز النفسى الذى يفصل بين اسرائيل والعرب • ومبادرة السلام هى التى كسرت هذا الحاجز النفسى كى يلتقى الجميع على أرض الثقة والأمان • ان الخطاب التاريخى للرئيس السادات أمام الكنيست الاسرائيلى يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ يجسد هذا المعنى •

**قال الرئيس السادات :**

**« ٠٠ لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان ٠٠ وعلينا أن نعترف معا بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم فى عام ١٩٧٣ ٠ ولكن بقى جدار آخر ٠ هذا الجدار الآخر يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم ٠ حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطىء لكل حدث أو حديث ٠ وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه فى تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين فى المائة من المشكلة ٠**

**واننى أسألكم اليوم ـ بزيارتى لكم ـ لماذا لا نمد أيادينا، بصدق وايمان واخلاص ، لكى نحطم هذا الحاجز معا ؟ » ٠**

لقد وضع الرئيس السادات اصبعه على المفتاح الحقيقى للسلام ، الذى يمكنه أن يغير الاتجاه النفسى ، ليس للشعب الاسرائيلى ازاء العرب فحسب ، بل بين كل القوى المتصارعة، كى يتحول الشك الى ثقة ، وتنقلب الكراهية الى محبة ، وتستبدل الحرب بالسلام ٠

**كيف حقق السادات بمبادرته نجاحا مذهلا ـ من وجهة النظر السيكلوجية ؟**

ان اجابة هذا السؤال سوف تتضح من خلال اجابتنا على السؤال التالى :

**ما هى مكونات الاتجـاه النفسى للفـرد الاسرائيلى ازاء العرب ؟**

ان الفرد أثناء نموه تنتظم **معارفه ، ومشاعره ، وأفعاله** بالنسبة للموضوعات الاجتماعية المختلفة وتصبح نظاما داخليا نسميها الاتجاهات • وعندما نقول ان الاتجاه الاجتماعى هو « نظام داخلى » فمعنى ذلك أننا نؤكد على الارتباط الداخلى بين هذه المكونات الثلاثة • فعنـدما ترتبط هذه المكونات تصبح معتمدة على بعضها ، لأن معرفة الشخص لموضوع معين تتأثر بمشاعره وبأفعاله تجاه هذا الموضوع • فاذا حدث تغيير فى معرفته عن الموضوع فان هذا التغيير فى المعرفة قد يحدث تغييرا فى مشـاعره وأفعاله تجاهه • **أى أن الاتجاه النفسى هو بمثابة « جشطلت » يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية هى : المعرفة ، والشعور ، والفعل • وعلى أساس التفاعل الدينامى بين هذه الأجزاء يتشكل اتجاه الفرد وشدته •**

والفرد الاسرائيلى ــ من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فى اسرائيل ، ومن خلال الاعلام الموجه لشعب اسرائيل ــ قد انتظم اتجاهه ازاء العرب على أساس معارفه المستمدة بما يقال عن « أرض الميعاد وشعب الله المختار » ، وعلى أساس شعوره الذى تسوده الكراهية والعدوانية ، وأيضا على أساس أفعاله المناهضة التى تتصاعد ، حتى تصل الى الحرب المسلحة • ومن ثم فان هذا الاتجاه الذى تكلس عبر هذه السنين الطويلة ،

اذا كان له أن يتغير ، فانما يكون بتغيير حاسم لأحد هذه المكونات الثلاثة أو أكثر ٠

فاذا كانت **المعرفة** تأتى أساسا من وسائل الاعلام ، واذا كان الاعلام الاسرائيلى ــ نتيجة عوامل متعددة ــ هو بالفعل أقوى من الاعلام العربى ، خاصة تجاه الشعب الاسرائيلى ، فان تغيير الاتجاه الاسرائيلى لن يتأتى اذن عن طريق هذا المكون الحيوى « المعرفة » ٠ ولقد ثبت ذلك طوال السنوات الماضية ، فلطالما نادى العرب بحقوق شعب فلسطين مستندين الى حقائق تاريخية لا تقبل المناقشة ، ومع ذلك فان أصواتهم ذهبت هباء ، ولم يحدث التغيير المطلوب ٠

كما أن العرب قد أخفقوا ــ على مدى ربع القرن الماضى ــ فى تغيير **السلوك** الاسرائيلى تجاههم ٠ بل ان هذا السلوك يزداد عدوانية ، كما أن الحرب تزداد ضراوة ٠ وبذلك يكون كل من : « المعرفة » و « الفعل » كجزئين ضمن مكونات الاتجاه الثلاثة ، قد ثبت ــ حتى الآن ــ قصورهما فى تغيير الاتجاه الاسرائيلى ازاء العرب ٠

واذن فلم يبقى من مكونات الاتجاه الا « **الشعور** » ٠

**وهنا .. وضع الرئيس السادات اصبعه على مفتاح التغيير، تغيير الاتجاه النفسى الاسرائيلى المشبع بالكراهية والعدوان تجاه العرب عن طريق تغيير مشاعرهم وهز وجدانهم ٠**

هذه الاستراتيجية النفسية الخلاقة ، لم يستطيع ادراكها من يسمون أنفسهم « جبهة الرفض » ، ومعهم بعض من الصحفيين الاسرائيليين ومن أعضاء الكنيست ، فحين درسوا خطاب الرئيس السادات فى القدس ، من وجهة النظر المعرفية، وجدوا أنه ما زال يصر على مبادئه التى سبق أن أعلنها ، وقد نادى بنفس الشروط العربية المتفق عليها لاقامة السلام العادل ، ولذلك فقد وقفوا حيارى أمام الحفاوة البالغة التى عبر عنها الشعب الاسرائيلى فى استقباله للسادات ، فور سماعه لخطابه التاريخى !

على أن أثر مبادرة السادات على تغيير اتجاه الشعب الاسرائيلى ازاء العرب ، وان جاء كنتيجة مباشرة لمعالجة الجانب **الشعورى** ، الا أنه فى نفس الوقت يتضمن أيضا معالجة غير مباشرة ـ ولكنها فعالة ـ لمكون « **الفعل** » ، أحد مكونات الاتجاه الاسرائيلى • ان السلوك العربى الانتقامى ( وان كان على حق ) طيلة السنوات الماضية ، ليس له الا أن يدفع الى سلوك اسرائيلى عدوانى كرد فعل له ( وان كان على باطل ) • ان من شأن هذا المناخ أن يجانس ويقود كل المشاعر والمعارف لخدمة السلوك العدوانى الجارى بين الطرفين ، فضلا عن أنه يعمل على اسكات صوت الضمير الجماعى ـ الضمير الاسرائيلى أو الضمير العربى • ولكن زيارة السادات للقدس ، وهو أقوى

زعيم لأكبر دولة عربية ، وبيده قرار الحرب أو السلام ، هذا السلوك الجديد ، كان له فعل **الصدمة** على الوجدان الاسرائيلى، انه بلغة الطب النفسى كان بمثابة صدمة كهربية عالجت مركز الشعور فى المخ الاسرائيلى ، فأصبح جاهزا لتلقى العلاج النفسى من خلال خطاب السادات فى الكنيست • هذا الفعل الجديد •• وجوهره السلام •• لا بد له أن يولد رد فعل اسرائيلى مقابل يقوم على السلام • ان من شأن هذا المناخ الصحى أن يجانس ويقود كل المشاعر والمعارف لتحقيق أمل الشعب الاسرائيلى والشعوب العربية فى حسن الجوار ، كما من شأنه أن يسمح لصوت **الضمير** أن يعلو ــ الضمير الاسرائيلى والضمير العربى ــ وفى الكنيست قال السادات « **لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم** » •

لقد قام **معهد البحوث التطبيقية فى اسرائيل** الذى يرأسه عالم النفس الاسرائيلى المعروف « لويس جوتمان(١)» بدراسة شاملة للرأى العام الاسرائيلى بعد رحلة الرئيس السادات الى القدس • وكانت أداة البحث عبارة عن استمارة تحوى عددا من الأسئلة تتناول مختلف الاتجاهات السياسية المتصلة بالصراع العربى الاسرائيلى ، وكانت عينة البحث تتكون من ٥٢٦ اسرائيليا • وكان من بين الأسئلة المطروحة السؤال التالى :

---

( ١ ) الأهرام ــ عن د• « ستيفن كوهن » أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد •

**« هناك من يقولون أنه ـ حتى للوصول الى حل سلمى مع العرب ـ يجب عدم الرجوع الى حدود ما قبل ١٩٦٧ حتى مع التعديلات الطفيفة ، فالى أى درجة توافق أو تعارض هـذا الرأى ؟ » ٠**

وقد أجاب ٢٣١ شخصا أنهم يوافقون على الرجوع الى حدود ما قبل ١٩٦٧ ، بينما أجاب ٢٨٤ شخصا أنهم يوافقون على عدم الرجوع الى هذه الحدود ، وهناك ١١ اجابة غير واضحة ٠

والفروق بين الموافقين والمعارضين ليست ذات دلالة فى الحقيقة ، مما يدل على أن الصراع حول هذا الموضوع الحيوى قد أخذ يشتد فى اسرائيل بتأثير المتغيرات الجديدة التى دخلت على الموقف بعد زيارة الرئيس السادات ٠

ان عالم النفس الأمريكى د٠ « **هربرت كيلمان** » الأستاذ بجامعة هارفارد ، كان موجودا فى اسرائيل قبل زيارة السادات وأثناءها ، وقد وصف أثر هذه الزيارة التاريخية على الرأى العام الاسرائيلى بقوله(١) :

« ٠٠ انه كان خليطا بين الرهبة والترحاب ، فمن ناحية انتشر الشعور العام بأن هناك حدثا تاريخيا خطيرا على وشك

---

( ١ ) الأهرام ١٩٧٧/١٢/٩ ٠

الحدوث ، عبر عنه أحدهم بأنه حدث يمثل نقطة تحول خطيرة فى الصراع العربي الاسرائيلى . وقال آخر ، من فرط مشاعره: **أن هبوط السادات على أرض اسرائيل حدث يشابه هبوط أول رائد فضاء على سطح القمر » ٠**

ولقد ذكر د٠ « هربرت كيلمان » بعض المؤشرات التى يؤكد بها النجاح السريع للرئيس السادات فى تغيير الاتجاه الاسرائيلى وعبور الحاجز النفسى ، فقال :

« ٠٠ فاستفتاءات الرأى العام بين الاسرائيليين قد أوضحت أن المواطن الاسرائيلى ينظر الى الزيارة باعتبارها كانت ذات فعالية فى كسر حاجز عدم الثقة ، وازالة التشاؤم فى الرأى العام ، فعلى سبيل المثال كان هناك ٤٠٪ من الاسرائيليين قبل الزيارة يشعرون أن « مصر » ترغب حقا فى السلام مع اسرائيل وفقا لاستطلاعات الرأى العام ، وفيما بعد الزيارة نشرت جريدة « هاآرتس » أن ٩٠٪ من الاسرائيليين أصبحوا يشعرون بأن « مصر » ترغب فى السلام ، كما اتضح من نفس الاستطلاع أن ٨٠٪ يعتقدون أن فرص السلام قد باتت أكبر عن ذى قبل » ٠

**هكذا كانت براعة الرئيس السادات فى توجيه مبادرة السلام ٠٠**

اقتحم السادات مباشرة الوجـدان الاسرائيلى العريض ، واتجه مباشرة الى القاعدة الشعبية الاسرائيلية ، اذ هى الكفيلة ـ بشحناتها الفياضة ـ بأن تدفع قياداتهـا الى التغيير الذى تنشده ٠٠ الى السلام ٠

وكان السادات شامخا جذابا ٠٠ ان أحاديثه الصغيرة مع القادة الاسرائيليين الذين استقبلوه فى المطار ، وتعليقاته الطريفة معهم قد لمست شغاف قلوبهم ٠

قال لموشى ديان :

« كيف حالك يا موشى ؟ » ٠٠

ولاريك شارون :

« هذه المرة قد هربت منى ، ولكن اذا عـدت الى الثغرة فسوف تدفع رأسك ثمنا لذلك » ٠٠

ولرئيس الأركان جور :

« أنت كنت تقول أننى أناور وأحاول أن أخدعكم، ها أنذا فى القدس » ٠٠

**وفى يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ وقف العالم ينظر الى الرئيس السادات وهو يبنى قواعد السلام وحده ٠**

لقد سجل التاريخ كما أذاعت الأقمار خطابه الرصين فى الكنيست .. كلماته أنشودة سلام ستظل محفورة فى الوجدان .. وجدان الاسرائيليين والمصريين .. وجدان العرب والانسان فى كل مكان ٠

**قال السادات لشعب اسرائيل :**

« ٠٠ أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم ٠ وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : أننا نرحب بكم بيننا ٠٠ بكل الأمن والأمان ٠٠ اننــا نقبل بالعيش معكم فى ســلام دائم وعادل ٠٠

فيــا كل رجل وامرأة وطفل فى اسرائيل ٠٠ شـــجعوا قياداتكم على نضال السلام ٠ ولتتجه الجهود الى بنــاء صرح شامخ للســلام ، بدلا من بناء القــلاع والمخــابىء المحصنة بصواريخ الدمار ٠ قدموا للعالم كله صورة الانسان الجديد فى هذه المنطقة من العالم ، لكى يكون قدوة لانسان العصر ٠٠ انسان السلام فى كل موقع ومكان ٠

بشروا أبناءكم ٠٠ أن ما مضى ، هو آخر الحروب ونهاية الآلام ، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة ، للحياة الجديدة .. حياة الحب والخير والحرية والسلام ٠

.. ويا أيتها الأم الثكلى .. ويا أيتها الزوجة المترملة .. ويا أيها الابن الذى فقد الأخ والأب .. يا كل ضحايا الحروب .. املأوا الأرض الفضاء بتراتيل السلام ، املأوا الصدور والقلوب بآمال . اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر . اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال .. وارادة الشعوب هى من ارادة الله .. » .

**صدقت يا سادات .. ان الفرحة المهللة للشعب الاسرائيلى حين خرج لاستقبالك فى القدس .. كانت ارادة الله . ان الفرحة المهللة للشعب المصرى الذى استقبلك فى القاهرة حين عدت .. كانت ارادة الله . وكيف لا ؟ واسمه سبحانه وتعالى عند اليهود « شالوم » وعند المسلمين « السلام » .**

# الفصل السادس

# الأرض على مائدة المفاوضات

# الأرض على مائدة المفاوضات

**لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم ..**

**لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ..**

ذلك هو المبدأ العادل الذى وجهه الرئيس السادات الى الضمير الاسرائيلى فى القدس . وهو الأساس الحق الذى ينبغى أن تقوم عليه المفاوضات بين جميع أطراف النزاع على الأرض المقدسة .

ان بطولة السادات فى مبادرته للسلام ، تتجسد فى أنها فتحت الطريق لأول مفاوضات مباشرة ، على أساس من الثقة والاحترام ، بين العرب واسرائيل . لقد ضاع هباء صوت الحق طيلة الثلاثين عاما الماضية ، بين انفجارات القنابل وأزيز الطائرات ، وبين مشاعر العداوة والشك . فقدت اسرائيل أمنها ، وضاعت من العرب حقوقهم ، واليوم يتفاوض الجميع من أجل تحقيق الأمن واسترداد الحقوق . لقد اعتاد الجميع سلوك الحرب ، ولذلك فهم يعرفون عدتها . أما السلام فلم يألفوا بعد وسائله .. أعنى « المفاوضات » . وسوف تكون هذه المفاوضات ـ لحداثتها ـ صعبة على كل الأطراف .

ومن هنا كانت بطولة السادات ، اذ كسر ذلك الحاجز بين الحرب والسلام ، وقاد الجميع الى المفاوضات المباشرة ، من أجل ارساء سلام عادل فى المنطقة ، واضعا أمامهم ذلك الشعار الجامع « لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم » حتى يكون نبراسا منيرا ٠

ان المفاوضات الناجحة لا بد لها أن تلتزم بالمنهج العلمى الذى يقوم على : **الفهم ، والسيطرة ، والتنبؤ** ٠ فلا بد أولا من تحليل الظاهرة أو المشكلة المطروحة ، حتى نفهم الأسباب الحقيقية التى أدت اليها ، وبذلك نستطيع السيطرة على المشكلة بمعالجة أسبابها ، ويمكننا حينئذ أن نتنبأ بالحل الأمثل لها ٠

**ولا شك أن أصعب المراحل التى ستمر بها المفاوضات من أجل السلام ، هى المرحلة الأولى « الفهم » ، أى فهم وجهة نظر كل طرف على حدة ـ من أطراف النزاع العربى الاسرائيلى ـ ودوافعه الحقيقية الكامنة وراء سلوكه العدوانى ، وفهم طبيعة التفاعل بين وجهات نظر الجميع فى المراحل المختلفة للمشكلة ٠ وكذا فهم المشكلة فى اطار العلاقات الدولية القائمة ٠ وكلما كان الفهم عميقا وعريضا كلما كان الحل جذريا وشاملا ٠**

ومن هنا كان اتجاه الرئيس السادات مباشرة الى نقطة البدء وجوهر الصراع ، الى المشكلة الفلسطينية • فليست الأراضى المحتلة من سيناء والجولان والضفة الغربية الا أعراض سطحية تشير الى المرض الحقيقى الكامن • والانشغال بعلاج تلك الأعراض الظاهرية يعد من قبيل العجز عن مواجهة المرض الحقيقى والتصدى لعلاجه •

على أن الرئيس السادات أراد أن يتحقق قبل تحركه التاريخى هذا ، من شرطين أساسيين لا بد من توافرهما قبل الدخول على هذه المرحلة الحاسمة « مرحلة المفاوضات » ، ألا وهما : صدق رغبة الطرف المقابل ، السيد « مناحم بيجين » رئيس وزراء اسرائيل وصاحب القرار فيها ، فى تحقيق السلام ، وكذلك قدرته على تنفيذ قرارات السلام التى يتم التوصل اليها من خلال المفاوضات • وكان أن أكد توافر هذين الشرطين الأساسيين الرئيس « شاوسيسكو » رئيس دولة رومانيا وصديق الطرفين • ويبقى بعد ذلك شرط أساسى لنجاح المفاوضات ولتحقيق الفهم الواضح للمشكلة ، أعنى توفير المناخ النفسى الصحى لها الذى تسوده روح الثقة المتبادلة بين جميع المشتركين ، ولقد تحقق ذلك بالوثبة التاريخية للرئيس السادات بين القاهرة والقدس •

**ويضاف الى هذه الضمانات الثلاثة لنجاح المفاوضات : الرغبة الصادقة فى السلام ، القدرة على تنفيذ قرارات السلام ، المناخ النفسى الصحى القائم على الثقة المتبادلة ، عدة شروط**

**لا تقل أهمية ، تتعلق بالسمات الشخصية للقائمين بالمباحثات ·** اذ يجب أن يتمتع كل منهم الى جانب **الذكاء** ، بدرجة عالية من **المرونة** ، وتقبل أفكار جديدة تغاير معتقداته السابقة ، وقبل ذلك ، أن يتمتع كل منهم بسمة « **الموضوعية** » ، أى يستطيع أن يبتعد ــ الى حد كبير ــ عن التحيزات الذاتية ( سواء ما كان منها على مستوى الشعور أو على مستوى اللاشعور ) · هذه الموضوعية هى التى ستمكنه من تحديد الحقـائق بوضوح ، وستوفر له امكانية الاقناع المحكم ، والاقتناع النزيه ·

واذا كانت مبادرة الرئيس السادات ــ فضلا عن مبادراته البطولية على مدى تاريخ كفاحه الوطنى ــ تؤكد فى وقت واحد : رغبته الصادقة فى تحقيق السلام العادل فى المنطقة ، وقدرته الفائقة على اتخاذ القرار وتنفيذه ، مهما كان القرار جريئا ، وعبقريتـه القـادرة على خلق الجـديد الفريد ، ومرونته التى تجاوزت كل الحواجز ، وكذلك تثبت موضوعيته النزيهة عن أية تحيزات ذاتية ، بترحيبه بحسن الجوار مع اسرائيل فى اطار السلام العادل لكل شعوب المنطقة ، فضلا عن أن المبادرة قد خلقت المناخ الصحى وروح الثقة المتبادلة ، اذا كانت مبـادرة السـادات قد حققت كل هـذه الشروط الأساسية لنجاح مرحلة المفاوضات ، فلم يبق اذن كى يتحقق النجاح الفعلى لها ، الا أن يقدم الجانب الاسرائيلى الاستجابات التى تنسجم فى الحركة والهدف مع كل ما قدمته هذه المبادرة الجسورة ·

**هذه المحددات الأساسية للمنجاح قد حددها الرئيس السادات في الكنيست من خلال هذه الكلمات الجامعة :**

**« ان في حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا الى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة • وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية الملقاة على عاتقنا هم أول من يجب أن تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التي تتناسب مع جلال الموقف ، ويجب أن نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية • فمن المهم ألا ننسى أبدا أن العصمة لله وحده » •**

ان كثير من المترقبين لاستجابات الجانب الاسرائيلي ازاء المبادرة ، ينظر بعين الشك والريبة تجاه السيد «مناحم بيجين» رئيس وزراء اسرائيل والسيد « موشى ديان » وزير خارجيته • ولهم بعض الحق في توقعاتهم ، التي تشير الى أن قادة اسرائيل لن يكونوا على مستوى هذا الحدث التاريخي الضخم ، فمنذ البداية كان خطاب السيد بيجين أمام الرئيس السادات في الكنيست مخيبا للآمال ، ولم يكن حتى على مستوى مشاعر الشعب الاسرائيلي الذى استجاب بترحاب سريع لخطاب السادات • الأمر الذى دعى السيد بيجين الى أن يتخذ مواقف أكثر مرونة من خلال تصريحاته الصحفية بعد ذلك • وتنبع هذه الشكوك من ذلك الماضي المشئوم لكل منهما ، فما زال اسم

بيجين مرتبطا بمنظمة أرجون الارهابية ، وبمذبحة دير ياسين التى قتل فيها ٢٥٤ عربيا ، وما زال اسم ديان مرتبطا بعدوانه فى ٥ يونيو وبهزيمته فى ٦ أكتوبر ٠

الا أننا لا يجب أن نتشاءم كثيرا ، اذ أن الرغبة الصادقة للشعب الاسرائيلى فى اقامة السلام وتحقيق الأمن سوف تدفع بقياداته ، أيا كانت أشخاصها ، الى الطريق السليم ، وسوف تدفعهم الى اتخاذ مواقف منطقية أثناء المفاوضات(١) ٠ ومع ذلك فاذا نظرنا الى السمة النفسية على أنها سمة محايدة يمكن أن تمارس أنواعا مختلفة من السلوك ، بمعنى أن الذكاء والمرونة مثلا ، يمكن أن يمارسان من خلال الحرب لتحقيق الأمن الوطنى ، كما يمكن أن يمارسان من خلال السلام لتحقيق نفس الهدف ، فاننا يمكن أن ننظر بعين التفاؤل الى الجانب الاسرائيلى بعد التغيير الجوهرى الذى أحدثته مبادرة السادات ٠

**واذا حاولنا اذن أن نتخذ موقفا وسطا بين التفاؤل والتشاؤم ، فاننا نقول : أن حركة المفاوض الاسرائيلى سوف توافق حركة المفاوض المصرى من حيث الاتجاه الى السلام ، الا أنها سوف تكون من حيث ايقاعها أقل سرعة ٠**

---

(١) قد تسقط حكومة « بيجين » اذا فشلت ، ويستبدلها الشعب الاسرائيلى بحكومة جديدة تحقق أمله فى الأمن والسلام ٠

## الأرض :

الأرض هى التجسيد المادى للمشكلة العربية الاسرائيلية منذ قيام اسرائيل ، وبسببها قامت كل الحروب • فمن جانب، يستولى الاسرائيليون على الأراضى بالقوة بهدف التوسع وبحجة الأمن • ومن الجانب الآخر ، تحارب مصر وسوريا والأردن ومعهم الفلسطينيون لاسترداد أراضيهم المحتلة ، وهكذا دفن آلاف من الضحايا فى باطن الأرض ، بدلا من أن يعيشوا عليها • وكانت حرب ٦ أكتوبر هى التى هزت ـ لا أقول هزت نظرية الأمن الاسرائيلى فحسب ـ ولكنها قد هزت الاستراتيجية الاسرائيلية التى تهدف الى تحقيق أوهامهم الخادعة لاقامة ما أسموه « اسرائيل الكبرى » ، كما أظهرت هذه الحرب المجيدة قوة العرب واصرارهم على استرداد حقوقهم مهما طال الزمن بهم • وجاءت مبادرة السلام ، لتعلن أن حرب أكتوبر لا بد أن تكون هى آخر الحروب فى المنطقة ، وأن أسلوبا جديدا يلزم أن تمارسه كل أطراف النزاع العربى الاسرائيلى كى تحل المشكلة حلا جذريا شاملا ، ذلك هو أسلوب « المفاوضات السلمية » •

وسوف تظل الأرض هى حديث كل المفاوضين ، وان اختلفت الأحاديث باختلاف دافع ونظرة كل منهم الى الأرض وما تعنيه بالنسبة له •

وفى الكنيست الاسرائيلى حدد الرئيس السادات نظرة العرب الى الأرض بقوله :

**« ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئا ٠٠ ولكى نتكلم بوضوح، فان أرضنا لا تقبل المساومة ٠ وليست عرضة للجدل ٠٠ ان التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ٠٠ ولا يملك أى منا ، ولا يقبل ، أن يتنازل عن شبر واحد منه ، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه » ٠**

**فماذا تكون نظرة الاسرائيليين الى الأرض ؟**

انها نظرة أساسها جوع قهرى وطمع لا محدود ٠

فى التحليل النفسى ٠٠ حالة شهيرة عرفت باسم حالة « لورا » عالجها روبرت لندنر ( ١٩٥٤ ) ٠ كانت هذه الفتاة البائسة تعانى من حالة « نوبة أكل قهرى » أى أنها لا تستطيع ــ خلال النوبة ــ أن تتوقف عن التهام الطعام ، تأكل كل ما يصادفها ، حتى الورق والعلب التى تستخدم لحفظ الأطعمة المختلفة ٠ على أن « لندنر » قد نجح من خلال جلسات التحليل أن يشفى هذه الحالة الغريبة ، بوصوله مع « لورا » الى فهم الجذور النفسية التى أدت الى هذه الظاهرة المرضية ٠

ولعلنا نأمل أن تؤدى جلسات المفاوضات ، التى سوف تكون أشبه بجلسات العلاج الجماعى Group therapy ، أو لنقل أشبه بجلسات العلاج العائلى Family therapy ، أن تؤدى الى شفاء اسرائيل من ذلك الجوع الأرضى القهرى ، والاصرار على الاستيلاء على الأراضى بالقوة وبالحيلة ، فى كل الاتجاهات من حولها ، غير عابئة بأن تلك الأرض ملك لمصر أو لسوريا أو للأردن ، بل فقط كل ما يهمها أن تأكل وتأكل !!

أعتقد أن حجة اسرائيل بأنها تستولى على الأراضى بحثا عن حدود آمنة لها ، لا تعبر تماما عن الدافع العميق لهذا السلوك القهرى • ولذلك فان دحض هذه الحجة من خلال انتصار العرب فى حرب أكتوبر المجيدة ، سوف لا يعالج المرض من جذوره ، وسوف تظل اسرائيل تسعى الى ضم مزيد من الأراضى ، حتى وان زادت هذه الأراضى عن حاجتها ، اذ أن الكثافة السكانية فى اسرائيل هى أقل منها فى بلدان أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهى لا تشبع ، وكأنها مدفوعة بصورة قهرية الى الاستيلاء على الأرض من حولها •

**وقد نرى اذن ، أن استمرار الحوار من خلال تحديد « مفهوم الحدود الآمنة » قد يعمل على احراج اسرائيل ، ويساعد على تقوية حجج المفاوض العربى ، أى أنه قد يكون بمثابة العامل المساعد لحل القضية ، ولكنه ليس هو العلاج الجذرى للحل الشامل •**

وما يؤيد هذا الظن ، أن اسرائيل تسعى لاقامة حدود آمنة لها ، كى تشجع على هجرة مزيد من اليهود اليها • أى أن الحدود الآمنة ليست غاية فى حد ذاتها ، ولكنها وسيلة لمزيد من التضخم والنمو •

ان الدافع الأساسى لهجرة اليهود من مختلف بقاع العالم •• من « حوارى » اليهود فى مختلف الدول •• الى أرض اسرائيل ، هو اشباع حاجة نفسية أساسية لكل فرد ، هى « **الحاجة الى الانتماء** » • فالأرض هى التى تحدد انتماء الفرد• وقد شاء الله أن يكتب الشتات على اليهود طيلة القرون الماضية • كما أن تعرضهم الى كثير من التهديد والاضطهاد خلق لديهم حاجة أساسية أخرى هى « **الحاجة الى الأمن** »(1) ، ولا بد أن يكونوا هم السبب فى خلق هذه العداوة تجاههم من قبل شعوب مختلفة فى أزمان متفاوتة • الأمر الذى جعل اليهودى ـ رغم أنه يعيش فى وطن ما ـ جعله يفتقر الى الاحساس العميق بالانتماء الى هذا الوطن ، افتقاره الى الاحساس بالأمن فى داخله • وذلك على خلاف كل من المسيحى

---

(١) نظرية « ماسلو » : توجد خمس فئات تقع فيها حاجات الانسان الأساسية أو دوافعه • وتتدرج هذه الحاجات تدرجا هرميا • فالحاجة السفلى يجب أن تشبع أولا الى درجة معقولة قبل أن تظهر الحاجة الأعلى منها فى الدرجة • وهى : الحاجات الفسيولوجية ، تليها حاجات : الأمن ، الانتماء ، التقدير ، وأعلاها : تحقيق الذات•أنظر لنفس الباحث ـ الولاء ـ ص ٢٨ •

والمسلم فى مصر على سبيل المثال ، فكل منهما لديه نفس الاحساس بالأمن وبالانتماء الوطنى ، ويقاتلان معا فى سبيل تحرير أرضهما ٠

وهكذا تولد لديهم جوع شديد الى الأرض ٠٠ حتى أنهم اذا ما تمكنوا ـ كيهود ـ من مساحة من الأرض أقاموا عليها دولة اسرائيل ، توهموا ، مثل أى جائع محروم ، أنها لن تكفى ، وعليهم أن يستولوا على مزيد من الأرض ، خوفا من شبح الجوع ، أو تعويضا عن سنوات الحرمان ٠ ولعل فى صفة « البخل » التى عرفت عن اليهود ، فضلا عن « الربا » الذين اشتهروا به ، ما يوضح الميكانيزمات النفسية وراء سلوكهم تجاه مختلف الموضوعات ٠

أما **البعد الدينى** الذى يستمد منه اليهود الحق فى الاستيلاء على الأراضى ، من حيث أنهم كما يتصورون « شعب الله المختار » ، الذى اختار لهم أن يعيشوا على أرضه المقدسة « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات ، ففى رأيى أنه يعبر عن مستوى سيكلوجى أعمق من المستوى الذى تقف عليه نظرية الأمن الاسرائيلى ٠ ولذلك فهو جدير بأن تتم معالجته ، معالجة موضوعية قوية ٠

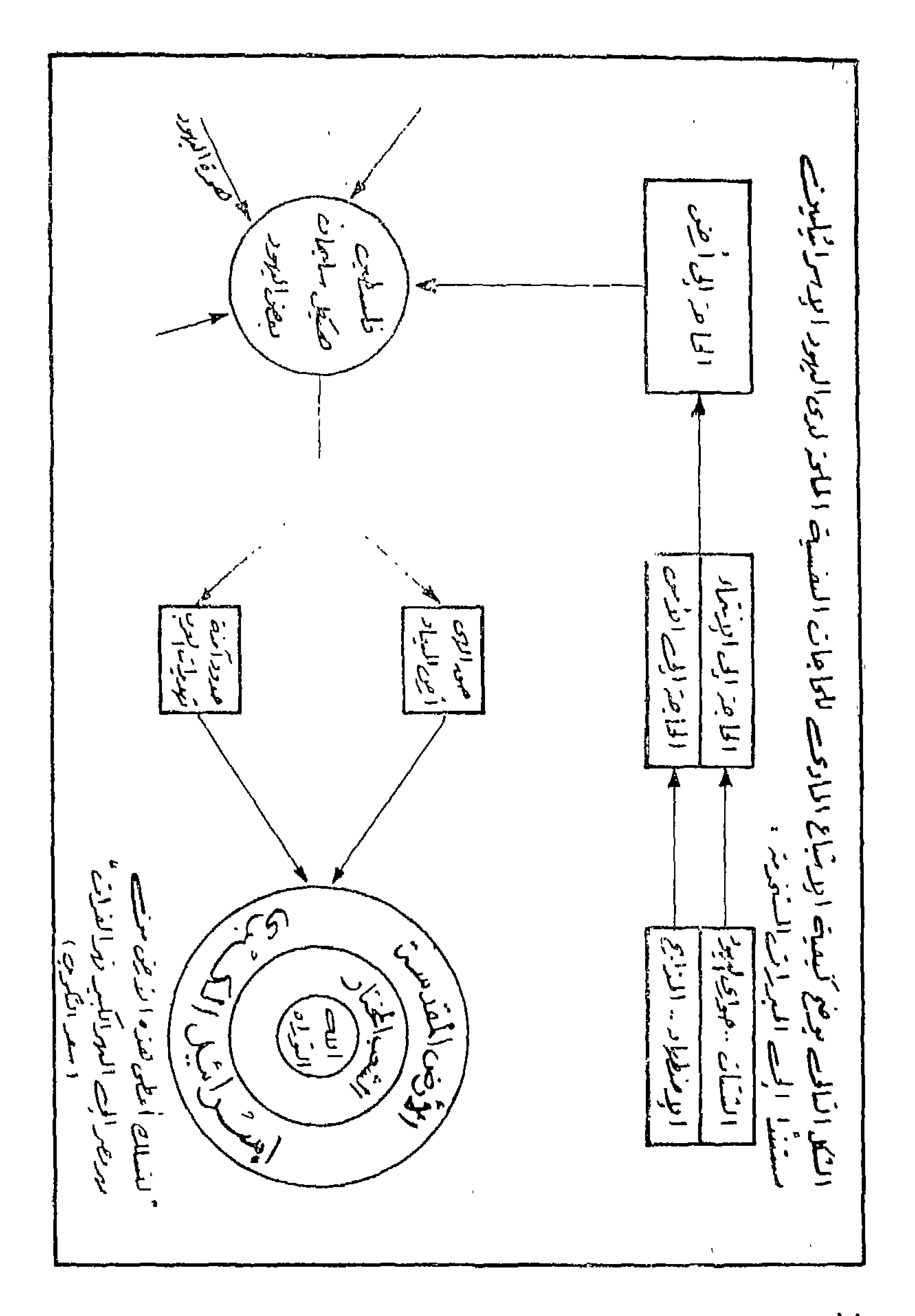
فاليهود ـ تحت الحاح الحاجة النفسية الأساسية « الحاجة الى الانتماء » ، بالاضافة الى الحاح « الحاجة الى الأمن » ـ خلقت لديهم الحاجة الى « أرض » لتحقيق الانتماء والأمن المطلوبين ٠

وحيث أن اليهـــودية كدين ، هى التى تربط بينهم ـ وهم شتات من مختلف اللغات والألوان ، فكانت أرض فلسطين وفيها هيكل سـليمان ويعيش بهـا بعض اليهود ، هى خـير ما يستقطبهم جميعا ، وخير تجسيد مادى للحاجة النفسـية للانتمـاء • ومن ثم أضفوا على هذه الأرض قداسة شـديدة تيسر لهم الادعاء بأنها حق لهم ، وأن الله قد منحها لهم • بل انهم أقاموا ثالوثا يهوديا يوحد بين : الله أو التوراة ، وبين الشعب المختار ، وبين الأرض المقدسة • وهى الأرض المختارة التى يرعاها الله ، « أرض الميعـاد » التى « وعد » الله بهـا ابراهيم وعاهده على أن تكون لنسله ، الأرض التى تفوق فى قدسيتها أى أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار « الواحد القدوس تبـارك اسـمه قاس جميع البلدان بمقياسـه ولم يستطع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح ليسرائيل سوى أرض يسرائيل » • وتعاليم التوراة لا يمكن أن تنفذ كاملة الا فى الأرض • وقد أصبحت السكنى فى الأرض بمثابة الايمان « لأن من يعيش داخل أرض يسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا ، أما المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » ( كما جاء فى أحد أسـفار التلمود وفى أحـد تصريحات بن جوريون ) • والجدير بالذكر هنا ، أن تلك النظرة هى على طرف النقيض من الاسلام الذى بدأ فى مكة والحجاز ثم انفصل عنهما ، لأنه دين مرسل لكل الناس فى كل زمان ومكان ، ولا تقاس التقوى بمدى القرب أو البعد عن مكة ، وانما بمدى القرب أو البعد عن القيم الأخلاقية الاسلامية •

ويستخدم اليهود عادة مصطلح « آرتس يسرائيل » ويبتعدون عن استخدام أى مصطلح مثل « فلسطين » قد يشتم منه أى وجود « تاريخى » غير يهودى ، فالاعتراف بمثل هذا الوجود ينسف ادعاءاتهم من أساسها ، ويضعف من مقاومتهم الوجدانية للواقع القائم فى أرض الميعاد ٠

وتعتبر مشكلة حدود أرض يسرائيل أمرا مطروحا من وجهة النظر اليهودية ، اذ أن خريطة اسرائيل التى وردت فى سفر التكوين على أنها « من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » تغاير خريطتها التى وردت فى سفر العدد على أنها « أرض كنعان بتخومها » فقط ٠ وقد حل الحاخامات هذه المشكلة بأن شبهوا الأرض بجلد الابل الذى ينكمش فى حالة العطش والجوع ويتمدد اذا شبع وارتوى ٠ وهكذا الأرض المقدسة !! تنكمش ان هجرها ساكنوها من اليهود وتتمدد وتنفرج ان جاءها اليهود من بقاع الأرض !! وما يؤكد هذه القناعة الزائفة قول بن جوريون « بأن الجيش الاسرائيلى هو خير مفسر للتوراة » ، ومن بعده قول جولدا مائير « بأن حدود اسرائيل تكون حيث يقف آخر جندى اسرائيلى » ٠

**ونستخلص اذن ، أن الأرض كانت هى وسيلة الاشباع المادية لحاجات نفسية أساسية كانت أشدها الحاحا حاجتى**


الشكل التالي يوضح كيفية الإشباع المادي للحاجات النفسية الملحة لدى اليهود الإسرائيليين
مستندًا إلى المبررات المستخدمة :
الشتات .. عداء اليهود
الاضطهاد .. المذابح
الحاجة إلى الاستقرار
الحاجة إلى الأمن
الحاجة إلى أرض
فلسطين
هيكل سليمان
بعض اليهود
هجرة اليهود
عودة إلى أرض الميعاد
حدود آمنة
تهديدات العرب
الأرض المقدسة
الشعب المختار
الله
التوراة
إسرائيل الكبرى
"لنسلك أعطي هذه الأرض من
نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"
( سفر التكوين )

**الانتماء والأمن ، وكانت أرض فلسطين هى الأرض المستعدة لتقبل شحنات قدسية يهودية حتى تيسر لهم الادعاء بأحقيتها ، فاذا أقاموا دولة اسرائيل ، سعوا الى الاستيلاء بالقوة على مزيد من الأراضى ، وذلك بتأثير الآثار السلبية المرضية التى خلفها ماضيهم الأليم • واستغلوا فى ذلك حجتين ، حجة تقال الى اليهود فى اسرائيل وخارجها ، تؤكد حقهم الالهى فى هذه الأراضى ، وبذلك يحاولون تجنب مشاعر الذنب والاثم من قبل الضمير اليهودى ، وحجة تقال الى أصحاب الأراضى السليبة وبقية دول العالم ، تؤكد أنهم قد استولوا على هذه الأراضى طلبا لحقهم الانسانى فى أن يعيشوا داخل حدود آمنة. هذا فضلا عن أن الذكاء اليهودى يستطيع المزج بين كلا الحجتين حسب المواقف المختلفة •**

ويتضح من الشكل السابق أن قيام اسرائيل على أرض فلسطين وعلى حساب الشعب الفلسطينى ، قد عالج من وجهة النظر السيكلوجية الحاجة الأساسية الى الانتماء ، التى تولدت نتيجة الشتات اليهودى ومعاناتهم الطويلة ، والتى خلقت الحاجة الى الأرض بغية اشباعها • الا أن الاستراتيجية النفسية اليهودية قد حددت المسار الى أرض الميعاد «اسرائيل الكبرى»، حتى تضمن عمليات اشباع مستمرة لذلك الجوع الأرضى

الشديد ، الذى استمر قرونا طويلة عبر فترات مشحونة بالمعاناة والاضطهاد ٠

ومن هنا فان الاستراتيجية العربية ــ والمفاوضات السلمية هى وسيلتها فى المرحلة الراهنة ــ اذا اتجهت فقط لمعالجة الحجة الاسرائيلية التى تنادى بالحدود الآمنة ، سواء تمت هذه المعالجة عن طريق ضغط قوى كبرى ( أمريكا ، الرأى العام العالمى ) ، أو الضمانات الدولية ، أو الانفتاح السلمى فى شتى المجالات ، أو عن طريق بدائل أخرى ، فان ذلك لن يكفى وحده لضمان استمرار قناعة اسرائيل بالعيش داخل حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ٠ اذ أن الوهم الخادع ــ الحق الالهى فى أرض الميعاد « اسرائيل الكبرى » ــ قد أصبح عقيدة راسخة فى عقول معظم الاسرائيليين ، سواء جيل الرواد الذين نشأت اسرائيل على أكتافهم ، أو سواء أجيال الصابرا المولودة فى اسرائيل والتى تمت تنشئتها بالفعل على هذه العقيدة من خلال حياة الكيبوتزات وما تلقوه فى المدرسة التلمودية وفى الصلاة اليومية ، وقد كان خطاب السيد بيجين فى الكنيست أمام الرئيس السادات مشحونا بهذه المعانى المقدسة ٠ ومن ثم فلا بد للاستراتيجية العربية أن تتجه أيضا ــ اذا أرادت حلا جذريا للمشكلة الفلسطينية الاسرائيلية ــ الى معالجة مفهوم الحق الالهى وأرض الميعاد داخل العقل اليهودى الاسرائيلى ، بشرط أن تختار الأسلوب والوقت المناسبين ٠

ان المعالجة المزدوجة لكل من مفهومى الحدود الآمنة ، وأرض الميعاد ، داخل العقل اليهودى الاسرائيلى ، هى الضمان الحقيقى لاستمرار قناعة اسرائيل بالعيش فى سلام داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ . حينئذ تحقق الأرض الاشباع الكامل لحالة الجوع الأرضى التى تعانيها اسرائيل . وبذلك تستطيع أن توجه طاقاتها الى البناء داخل هذه الحدود الآمنة ، بدلا من تبديدها فى الاستيلاء على أراضى جديدة أملا فى تحقيق سراب خادع .

ان الحل الجذرى للصراع العربى الاسرائيلى لا بد أن يتناول ، بالاضافة الى تلك المعالجة المزدوجة تجاه الجانب الاسرائيلى ، معالجة أخرى لا تقل صعوبة ، وربما تكون متعددة الأبعاد ، تجاه الجانب الفلسطينى متعدد الاتجاهات . ان الأساس الوحيد الذى يمكن أن تقوم عليه هذه المعالجة متعددة الأبعاد هو : **اقامة دولة فلسطينية ، واعطاء الشعب الفلسطينى حق تقرير المصير .**

لقد خلق الاسرائيليون بانشاء دولتهم منذ ثلاثين عاما لدى الشعب الفلسطينى نفس الجوع الأرضى ، ولكن الأساس يختلف . اذ أن الحقيقة التى لم تمت بعد ، تقرر أن هذا الشعب الذى تم اخراجه من بلده ـ بطريقة أو بأخرى ـ انما يطلب حقا يقره الله والانسان فى كل مكان . فاذا رضى هذا الشعب الفلسطينى بأن يدفع تعويضا من حقوقه ، عن

كل ما عاناه اليهود من تهديد واحتقار وشتات في بقاع العالم المختلفة على مدى تاريخ طويل ، ورضى بحدود اسرائيل التي أقرها المجتمع الدولي . أليس من حقه اذن أن يعيش هو الآخر في دولة يقرها المجتمع الدولي ؟ !

ومن هنا كانت أهمية المبدأ الأخلاقي الذي نادى به الرئيس السادات خلال مبادرته للسلام ، حتى يكون دستور عمل لكل الأطراف أثناء المفاوضات ، اذا ما أرادوا الوصول الى أرض الحق والأمان .

« لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم .. »

« لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين .. » .

# الفصل السابع

# معا .. نحو مستقبل مشرق

# معا ٠٠ نحو مستقبل مشرق

## الحاضر والمستقبل :

من فوائد النقيض أن يظهر لنا فى وضوح نقيضه الآخر « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » ، واذا كنا بصدد تحليل لمبادرة السلام التاريخية للرئيس أنور السادات ، فاننا يفهم طبيعة التفكير ، سواء لهؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم « جبهة الرفض « ، أو سواء لبعض العقول الجامدة فى القيادة الاسرائيلية ، يتجلى لنا المنهج الفكرى للسادات ٠ ولا شك أن التناقض القائم الآن يشير الى وجود اختلاف مناظر له فى اتجاه حركة كلا الجانبين الى الحاضر الذى نعيش ، كما يقابله فرق كبير فى ايقاع هذه الحركة ٠

**ان هؤلاء الرافضين وذوى العقول الجامدة ، اذا صرفنا النظر عن الدوافع الذاتية البغيضة التى تلوث بعضهم ، يسيرون فى تفكيرهم ــ على أحسن تقدير ــ من الماضى ٠٠ الى الحاضر ٠٠ ومن ثم يكون تصورهم للمستقبل ٠**

هذا المنهج الفكرى يتميز بما يلى :

- أنه منهج تقليدى · أساسه التعاليم المدرسية التى ما زالت تلقن فى منطقتنا ·

- يتصف بالايقاع البطىء ، اذ أن سرعة التغيير والتطور فى الماضى تتميز بالبطء ، ومن ثم يكون التفكير فى الحاضر متأثرا بنفس ايقاع الحركة فى الماضى ، مما يجعل الرؤية للمستقبل قاصرة وخاطئة ·

- أنه يؤدى بالضرورة الى تصور للمستقبل طابعه التشاؤم ، اذ يستمد مادته من ماضى طابعه الكراهية والعدوانية والحروب المتبادلة فى الصراع العربى الاسرائيلى ·

هذا المنهج الفكرى ، نظرا لتقليديته ، ولايقاعه البطىء ، ولطابعه التشاؤمى ، لا يمكن أن يعمل على تغيير جذرى لحاضرنا كى يتلاءم مع المستقبل الذى نأمل ·

**أما الرئيس السادات فان منهجه الفكرى يسير فى اتجاه مضاد ، فهو يبدأ من المستقبل ·· متجها الى الحاضر ·· وفى نفس الوقت ينتقى من الماضى دروسه المفيدة ·**

هذا المنهج الفكرى يتميز بما يلى :

- أنه منهج خلاق لا يقدر عليه الا شخصية ابتكارية تستطيع أن تنفصل مؤقتا عن سلاسل الماضى والحاضر ، كى تنفذ ببصيرتها الى استقراء المستقبل الممكن والمأمول .

- يتصف بالايقاع السريع ، اذ أن سرعة التغيير والتطور تؤكد أنها فى الحاضر أسرع كثيرا من الماضى ، كما أنها سوف تكون أسرع كثيرا جدا فى المستقبل عنها فى الحاضر

- أنه يساعد بالضرورة على تصور للمستقبل طابعه التفاؤل، وذلك من حيث أن التفاؤل أحد المكونات الأساسية فى شخصية الرئيس السادات ، ومن حيث أنه ينفصل عن ذلك الماضى الذى تسوده الكراهية والحروب ، فضلا عن أن هذا التصور المستقبلى سوف يتلون بالضرورة بالآمال التى يتمنى الرئيس السادات أن يحققها لأمته .

هذا المنهج فى التفكير ، نظرا لابتكاريته ، ولايقاعه السريع ، ولطابعه التفاؤلى ، هو فقط الذى يستطيع أن يغير الحاضر تغييرا جذريا ، ويجعله أكثر ملاءمة للمستقبل الذى نصبو اليه .

ذلك التضاد فى اتجاه الحركة بين الرئيس السادات وبين أولئك الرافضين وأصحاب العقول الجامدة فى القيادة الاسرائيلية ، وكذلك الاختلاف فى ايقاع حركة كل منهما ،

هو الذى يسبب التناقض القائم فى وقتنا الحاضر ـ اذا افترضنا جدلا صدق نيات هؤلاء ذوى التفكير القاصر ، وهو لا شك افتراض مستحيل ٠

ولعل هذا الاختلاف فى منهج التفكير ناتج عن تفاوت حضارى بين عقول أصحابها ٠ وما يدعم هذا التفسير ، أن مبادرة السلام قد لاقت تأييدا عظيما ، واحتراما واضحا ، من الدول المختلفة فى العالم والمتفق على أنها دول تتمتع بسبق حضارى ٠ وان كان الاتحاد السوفييتى ومن يدور فى فلكه قد عارض مبادرة السلام ـ وليس لنا بالطبع أن نستبعده من عالمنا المتحضر وهو يعتبر ثانى قوة فى هذا العالم ـ الا أنه من البديهيات أن معارضته هذه ، لا تأتى من موقف موضوعى، بل هى رد فعل متوقع لانحسار نفوذه عن المنطقة تدريجيا ، منذ اخراج خبرائه من مصر فى مبادرة سابقة للرئيس السادات ٠

**ان عظمة الرئيس السادات أنه يجسد فى عقله وقلبه حضارة مصر ٠٠ حضارة سبعة آلاف عام تملأ تاريخا عريضا، فيه من الأمجاد العظيمة ما يوحى دائما بالأمل ، وفيه من الآلام العظيمة ما يوحى دائما بالعبر ٠**

**مصر عــام ٢٠٠٠ :**

ان أعظم ما وجهه الرئيس السادات الى مصر طيلة كفاحه الوطنى المجيد ، أن جسد رؤياه المستقبلية فى شعار « مصر عام ٢٠٠٠ » حتى تتوجه مصر كلها اليه • وما كانت ثورة ٢٣ يوليو ، وثورة ١٥ مايو ، واطلاق الحريات ، والانفتاح الاقتصادى ، وانتصــار ٦ أكتوبر ، ومبــادرة الســلام ، الا خطوطا تسهم فى رسم الملامح التى يراها هذا القائد الملهم لمصر المستقبل • أن كلماته التالية حــددت المنهج والطريق نحو ذلك المستقبل المشرق •

**« نحن اليوم نحتاج الى الأصالة والى الفكر والعلم والعمل لكى نأخذ الأمل بأيدينا ، ولكى نصنع به مستقبلنا ونساهم به فى صنع مستقبل أمتنا العربية كلها ، ونحقق ونؤكد دورا عربيا لا غنى عنه ولا بديل عنه فى تشكيل عالم جديد يقــوم على الحق وينشد السلام العادل » •**

ان زعيما مثل الســادات •• يملك هــذا البناء النفسى الرصين •• الذى يقوم على أعمدة راسخة عملاقة •• أسميتا بعضها فى الفصول السابقة من هذا الكتاب : علم .. وايمان .. وعبقرية •• وبطولة •• وولاء •• واقدام •• وســلام ،

لهــو الرجل الذى تتمنــاه مصر زعيما وقائدا فى مسيرتهــا التاريخية حتى تحقق صورتهــا التى تأمل فى عام ٢٠٠٠ ٠ أطال الله فى عمره ومنحه الصحة والقوة ٠

واذا كان السادات فى أعيننا هكذا ٠٠ فمن يكون هو فى عيون العالم ؟ فلنختار أربعة رجال عظام ينوبون عن أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا ٠٠

**قال عنه الرئيس « كارتر » :**

« اننى لم أقابل أى رئيس أو مسئول أمريكى، الا وحدثنى بصدق عن اعجابه الشديد بذكاء الرئيس السادات وتطلعاته وشــجاعته ٠٠ واننى شــخصيا ســأتعلم الكثير من الرئيس السادات ٠٠ وأتطلع مخلصا الى اقامة صداقة شخصية وحميمة مع الرئيس السادات » ٠

**وقال عنه « هلموت شميت » :**

« اذا كانت هناك فرصة للسلام اليوم ، فان هذا يرجع فى المقام الأول الى سياستكم الحكيمة ورغبتكم الحقيقية فى سلام العالم ٠٠ وفى هذا السبيل تحملتم الكثير من المتاعب ، وبذلتم الجهود المتصلة لشرحها والحصول على تأييد من العالم ، بحيث أصبحت القضية عامة على كل لسان فى أوروبا » ٠

**وقال عنه « شاه ايران » :**

« ان قيادتكم الحكيمة يا فخامة الرئيس وأساليب عملكم التى قد جمعت بين الثقة ورؤية الحقيقة لم تكن مكللة بالنجاح بالنسبة لمصر فحسب ، بل لدبلوماسية العالم العربى أيضا وانى لأرجو من صميم قلبى أن تكلل مساعيكم الدائبة بالنصر والتوفيق حتى النهاية ، لأن عالمنا المتأزم يحتاج اليوم أكثر من أى شىء آخر الى زعماء من ذوى المنطق والواقع والحكمة ».

**وقال عنه الرئيس السنغالى « ليوبولد سنجور » :**

« ان الرئيس السادات رجل دولة عظيم يقود شعبه بحكمة .. وأنه من القادة الذين لا يميلون للدعاية والظهور .. ويتركون أعمالهم الخالدة فى خدمة شعبهم والانسانية تتحدث عنهم » .

**معا .. نحو مستقبل مشرق :**

**ان السيد الرئيس « محمد أنور السادات » وسيدة مصر الأولى « جيهان السادات » ليكونان معا نموذج الزوج البشرى القادر دائما على أن يمنح لأمته الحرية والحب .. وأن يزرع لها الوفاء والأمل .. وأن يمد يد السلام للانسان فى كل مكان .**

**« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها. وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ».**

**ومن تاريخ كفاح هذا الزوج العظيم نلحظ توافقا عظيما فى اتجاه حركة كل منهما وفى ايقاع خطاه • فيكون التكامل على أفضل ما يكون •**

فخلال حرب أكتوبر المجيدة حين كان زعيم مصر يقود أمته الى النصر ، كانت سيدة مصر الأولى تضمد جراح أبطالها • وبينما اتخذ الرئيس السادات من نصر أكتوبر قاعدة صلبة لاطلاق مبادرته التاريخية للسلام ، قامت السيدة جيهان السادات ، ونيران الحرب لم تتوقف بعد ، بمبادرة انسانية فريدة ، حين ردت على خطاب ، أم يهودية ، أرسلت تطلب مساعدتها فى ارسال جثة ابنها المفقود ، فعبرت بأمومتها وانسانيتها الحواجز التقليدية ، وغرست •• فى تربة حرب وعدوان •• بذور حب وسلام •

كما أن سيدة مصر الأولى تتمتع أيضا ـ مع السيد الرئيس ـ بهذا النوع من التفكير الخلاق ، الذى يبدأ بالتصور الممكن لمستقبل مشرق ، كى يجعل من الحاضر مرحلة ممهدة له ،

آخذا في اعتباره دروس الماضى وعبره • ونجد فى كلماتها التالية من حديثها ، ما يؤكد هذه السمة المبدعة(١) •

**« ان المرأة المصرية ارتفعت الى مستوى المسئولية • رأيتها وهى تعطى عطاء كاملا • رأيتها فى حرب أكتوبر • والمرأة اليوم أمامها مسئولية كبرى • حتى تربية الأبناء بأسلوب جديد • مطلوب منها أن تغير مفاهيم الأبناء • لقد حضرت معارض لرسومهم ، كان يسيطر عليها الدبابة والطائرة والمدفع والصاروخ ، وصور طفل يقتل اسرائيليا ، الى آخر هذه المناظر التى توحى بالحرب والدمار •**

**واليوم تغير المفهوم ، على الطفل أن يوجه للسلام • وأن يرسم حمامة السلام والزهور الجميلة وأن تتغير الصورة أمامه.**

**فاذا تصورنا حب الأبناء للسلام وفهمهم لهذه القضية لتصورنا مقدما عطاءهم فى المستقبل ومقدار سعادتهم واقبال الأبناء على الحياة » •**

---

( ١ ) الأهرام فى ١٩٧٧/١٢/١٩ •

ان كل غريب عن شعب مصر يتابع مترقبا نتائج مبـادرة السادات للسلام ، ليحكم عليه بالنجاح أو بالاخفاق ! ولكن شعب مصر العريق قد رأى النجاح باهرا منذ أن رأى زعيمه يخطب فى القدس ٠٠ بعد أن صلى فى المسجد الأقصى ٠٠ لقد رأى الشمس والنور وغصن الزيتون ٠٠ رأى حمائم السلام تحلق بعد أن عجزت صقور الحرب ٠٠ وسمع أناشيد السلام تغنى بعد أن بحت صيحات الحرب ٠٠ فعرف أنه على مشارف مسـتقبل مشرق ٠٠ سينعم فيه الجميع بالاخاء والرخاء ٠٠ وأدرك أن اسراء السادات من القاهرة الى القدس ٠٠ يتلوه معراج الانسان ٠٠ حيثما كان ٠٠ بروح الايمـان ٠٠ الى سماء الرحمن ٠٠ يطلب من الملك القدوس ٠٠ السلام ٠٠

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

وقف الخلق ينظرون جميعـــا كيف أبنى قواعد المجد وحدى

قل لمن أنكروا مفــاخر قومى مثــل ما أنــكروا مآثر ولدى

هل وقفتم بقمـــة الهرم الأكــ ــبر يوما فريتم بعض جهدى

نظر الله لى فأرشـــد أبنـــا ئى فشدوا الى العلا أى شـــد

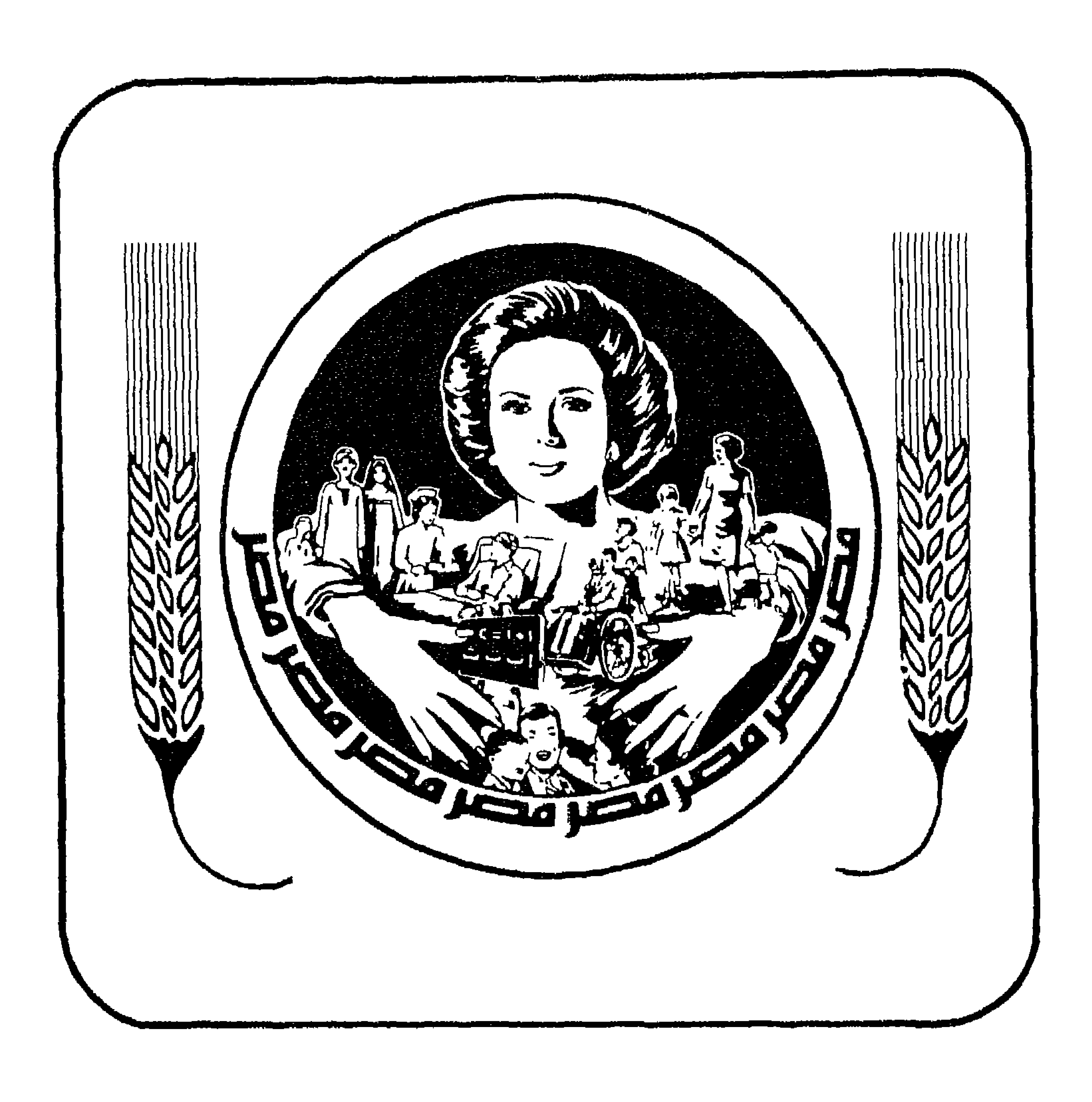
وارفعوا دولتى على العلم والاخـ ـلاق فالعلم وحده ليس يجدى

اننــا عنــد فجر ليــل طويل قد قطعناه بين ســهد ووجــد

وتجــلى ضــياؤه بعـــد لأى وهو رمز لعهـــدى المســترد

فاستبينوا قصد السبيل وجدوا فالمعـــالى مخطوبة للمجــد

**( حافظ ابراهيم )**



الوفاء والأمل .. أم المصريين

سيدة مصر الأولى « جيهان السادات »

# « المراجع الرئيسية »

أقدم جزيل شكرى وعرفانى للسادة المؤلفين والمترجمين للمراجع التالية :


١ ــ السيد يسين · الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى ــ القاهرة . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ــ ١٩٧٣ · الفصل الرابع ·

٢ ــ أنيس منصور · الحائط والدموع ــ القاهرة · بيروت · دار الشرق ــ ١٩٧٣ ــ ص ١٤٢ ، ١٥٢ ، ٢٨٥ ·

٣ ــ أنيس منصور · الصابرا « الجيل الجديد فى اسرائيل » ــ القاهرة · المكتب المصرى الحديث ١٩٧٤ ــ ص ٢٢٨ ــ ٢٤٠ ·

٤ ــ حمدى الكنيسى · السادات رجل القرارات ــ مقال فى كتاب « السادات من القرية الى الثورة » ــ القاهرة · دار الهلال ــ ١٩٧٧ ــ ص ٢٤١ ·

٥ ــ سمير عبد العزيز فرج · علم النفس فى المخابرات العامة ــ القاهرة · المخابرات العامة ١٩٧٦ · الفصل الثانى ·

٦ ـ سمير عبد العزيز فرج . الولاء « دراسة نظرية تجريبية » ـ القاهرة . المخابرات العامة . ١٩٧٧ . الفصل الأول .

٧ ـ سيد محمد غنيم . سيكلوجية الشخصية ـ القاهرة . دار النهضة العربية ١٩٧٣ . ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢ .

٨ ـ عبد الوهاب المسيرى . الصهيونية والوعى الزائف . مقال فى كتاب « حرب أكتوبر . دراسات فى الجوانب الاجتماعية والسياسية » ـ القاهرة . المركز القومى للبحوث الاجتماعية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ ١٩٧٠ . ص ٩٥ .

٩ ـ عبد الوهاب المسيرى . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ القاهرة ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ١٩٧٥ . ص ٩٥ .

١٠ ـ قدرى حفنى . تجسيد الوهم « دراسة سيكلوجية للشخصية الاسرائيلية » ـ القاهرة . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ ١٩٧٠ .

١١ ـ قدرى حفنى . تأملات سيكلوجية حول دلالات ٦ أكتوبر ـ مقال فى كتاب « حرب أكتوبر ـ أنظر مسلسل ٨ » . ص ١٠١ .

١٢ ـ محمد فيصل عبد المنعم ٠ نظرية الأمن الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر ٠ مقال فى كتاب « حرب أكتوبر ـ أنظر مسلسل ٨ » ٠ ص ٧٨ ٠

١٣ ـ محمود الزيادى ٠ علم النفس الاجتماعى ـ القاهرة ٠ مكتبة سعيد رأفت ـ ١٩٧١ ٠ ص ١٤ ٠

١٤ ـ آرثر م٠ شليزنجر ( الابن ) ٠ انحطاط الأبطال ٠ مقال فى كتاب « مغـامرات العقل » ٠ ثرولسن ، كوبلر ـ ترجمة محمد فيـاض ـ بيروت ٠ مكتبـة منسيمنه ـ ١٩٦٢ ٠ ص ١٦٧ ـ ١٨٤ ٠

١٥ ـ آلفين توفلر ٠ صدمة المسـتقبل ـ ترجمة محمد على ناصف ـ القاهرة ٠ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٤ ٠

# المراجع الأجنبية

1 — Harkabi, Y., Arab attitudes to Israel, Jerusalem: Israel Universities Press, 1972.

2 — Harkabi, Y., Basic factors in the Arab collapse during the Six-Day War, in: Orbis, Quarterly Journal of World Affairs, Vol. XI, Fall 1967, No. 3.

3 — Heradvsteit, D., Israeli elite perceptions of Arab-Israeli Conflict, Journal of Palestine Studies, Vol. II, No. 3. 68-93.

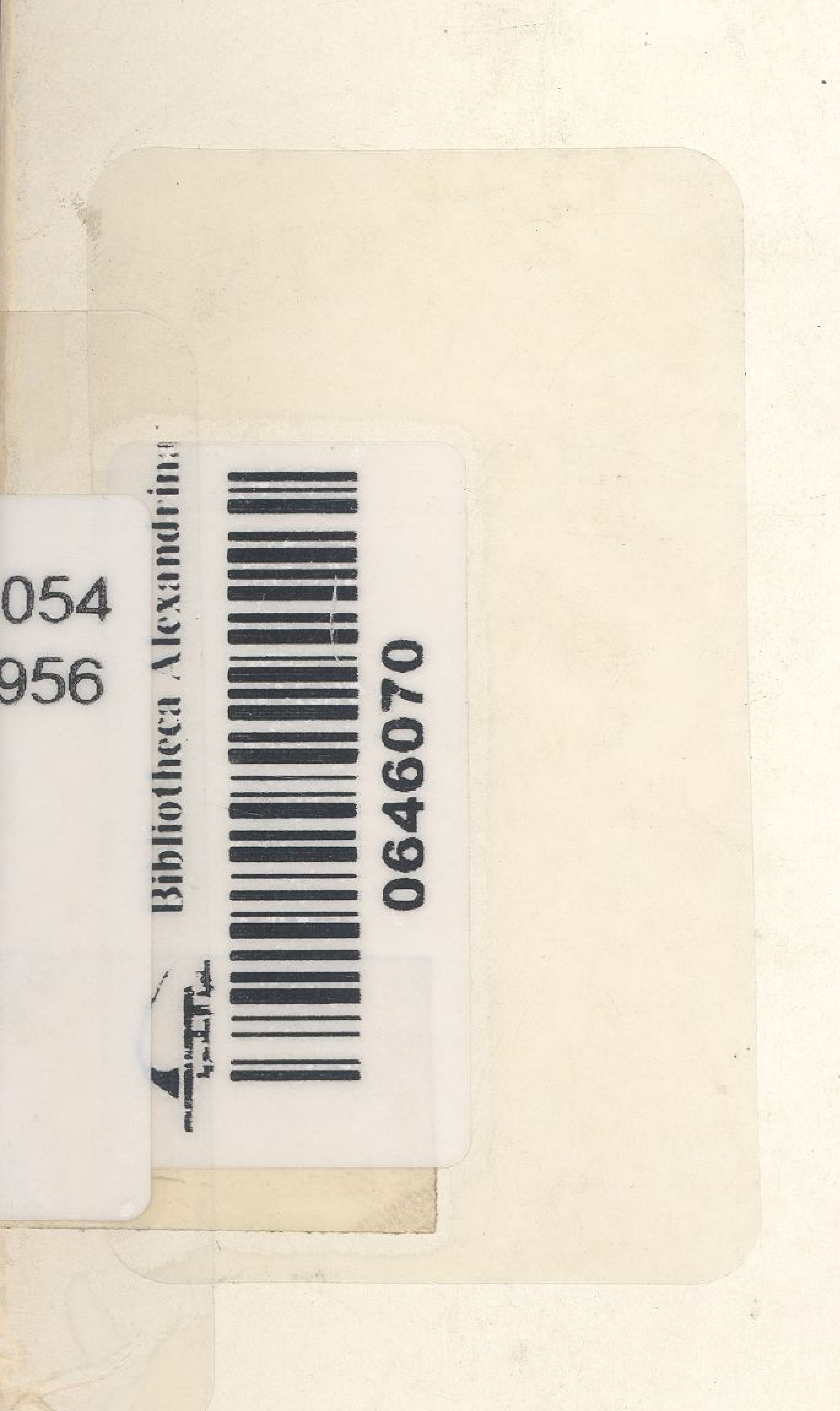
4 — Friedlander, S., Réflexions sur l'avenir d'Israël, Paris Editions du Seuil, 1969.

5 — Robins, E. Attitudes, stereotyp and prejudices among Arabs and Jews in = New Outlook, Vol. 15, No. 9, (136), Nov. - Dec. 1972, 36-48.

# فهرست

صفحة


مكتبة
ا.د
قدري حفني


054
956
Bibliotheca Alexandrina
0646070